مذاهب الأعراب وفلاسفة الإسلام في الجن

تأليف

جمال الدين القاسمي



مؤسسة قرطبة
طباعة • نشر • توزيع
٦٢ ش الخليفة - مدينة الأندلس - الهرم ت : ٨٦٢١٥١

مذاهب الأعراب وفلاسفة الإسلام

في الجنّ

تأليف

جمال الدين القاسمي

مؤسسة قرطبة

طباعة . نشر . توزيع

٦٤ ش الخليفة - مدينة الأندلس - الهرم ت : ٨٦٢١٥١

بسم الله الرحمن الرحيم

وبعد فهذا كتاب يبحث في مذاهب الأعراب في الجن وعما قاله عنهم فلاسفة الإسلام وهي مسألة مازالت و لم تزل موضوع الباحثين في كل ملة ونحلة. وقد رأيت أن أفرد لها بحثاً خاصاً تتوفر فيه الشروط اللازمة له فتفرغت مدة من الزمن أمكنني بها القيام بالتنقيب في الأسفار النافعة قديمها وحديثها حتى إذا تم لى الاستقراء والاستقصاءُ جمعت شتاتها من عشرات من المصنفات فجاءت مقالة وعت ما أثر عمن يهتدى بهديهم من رجال العلم واللغة والأدب. وقد نشرت فى العدد ١و٢ من المجلد الخامس من مجلة (المقتبس) التي تصدر فى دمشق ثم رغبنا في نشرها كتاباً على حدة ليعم تناولها ذوي الفضل والنبل والله الهادي إلى سواء السبيل.

دمشق ، ٣ رجب الفرد عام ١٣٢٨ **جمال الدين القاسمي**

* * *

مذاهب الأعراب وفلاسفة الإسلام في الجن

ليعلم أن من المسائل الجديرة بالعناية وبذل الجهد للوقوف عَلَى ما قيل فيها وكتب عنها (مسألة الجن) فقد تنوعت فى شأنها المشارب وتعددت في مباحثها المذاهب وكان للأعراب معها في الجاهلية مخايل ولها فى كل عصر نغمات جديدة وعجائب ولا غرو فهى من أقدم المسائل وأرسخها في الأذهان إذ دار اسمها عَلَى كل لسان وورد ذكرها في جماع النحل والأديان.

إن مسألة كمسألة الجن ليست مما تدرك بلفظة أو يشار إليها بلحظة حتى لا يرفع لها الحشوي رأسا ولا يقيم لها الجامد وزنا فلو ضمت شواردها وقيدت أوابدها وانتظمت فرائدها لنثر عَلَى الجم من اللطائف الفائقة والنوادر الرائقة مما يملك السمع والبصر إعجابه ويرتفع عن القلب للإصغاء حجابه.

كل مسألة لا يتناولها الفهم فى بداية النظر ولا يصل إليها إلا باستعانة من درس أمرها وسبر فلابد من بحث عنها وتنقيب واستقراء وتنقير لاسيما إن تلك ذات شعوب وأطراف وفروع وأوصال لا جرم ينبغي استقراؤها وتعرفها واستجلاؤها اكتشافاً لما خبأته كنوز الحقيقة ووقوفاً عَلَى كل جليلة من دررها ودقيقة.

أكثر من ألف فى العلم الإلهي أو ما وراءَ المادة تكلم فى (الجن) فموجز ومسهب ومقارب ومغرب والواقف عَلَى ما كتبه فلاسفة الإسلام يراه قريباً مما نحاه علماءُ أهل الكتاب فى شأنها اللهم إلا في خيالات شط بها البحث فبعدت عن القصد شأن كل شيءٍ جاوز حده.

من استقرأً ما كتب وبذل جهده فى التنقيب يمر به من علوم الأوائل ما يغني عن زهر الرياض حسنه وعن فتيق المسك نشره فمن تأمله ازداد حرصاً عَلَى تأمله وتصفحه مستعيداً ما يستحليه من فوائده.

الطريقة المثلى والخطة الوسطى هى أخذ المهم وإيثار الأجود من كل شيءٍ وهذا ما توخيناه فى هذه المسألة مما طالعناه وإلا فسعة علم السلف مما يدهش الخلف لنا إلا المختار من آرائهم والمنتقى من أنبائهم ولله ابن المقفع إذ يقول: «فمنتهى علم عالمنا في هذا الزمان – زمانه رحمه الله – أن يأْخذ من علمهم وغاية إحسان محسننا أن يقتدى بسيرتهم وأحسن ما يصيب من الحديث محدثنا أن ينظر في كتبهم».

إن استقصاءَ ما للقدماءِ في (مسأَلة الجن) واستقراءَه كله يعوز إلى عدة مجلدات وسعة أوقات والحاجيات كثيرة والمطالب وفيرة لذا آثرنا جمع شذرات تكشف عن وجهها نقابها وتجلي هدف عويصاتها لطلابها.

ينحصر ما نأْثره فى هذه المسألة فى مقدمة ومقصدين وخاتمة.

أما (المقدمة) فنحكي فيها ما قاله فلاسفة اللغة في شرح المراد من الجن واشتقاقه وعمومه وخصوصه وحقيقته ومجازه.

وأما (المقصد الأول) ففي مذاهب الأعراب ومزاعمهم فى الجن وقد حوى أحد وعشرين مبحثاً.

(أ) من ادعى من الأعراب والشعراءِ أنهم يسمعون عزيف الجان ويرون الغيلان وما يشبهونه بالجن والشياطين وبأعضائهم وأعمالهم.

(ب) إضافتهم مبانى تدمر وأمثالها إلى الجن.

(ج) تفرقتهم بين مواضع الجن.

(د) تنزيلهم الجن فى مراتب.

(هـ) زعمهم أن الغول من أنثى الجن وكذلك السعلاة.

(و) زعمهم أنهم يظهرون لهم ويكلمونهم ويناكحونهم.

(ز) مزاعهم فى الهاتف والناقل والرئى.

(ح) ما روى من هتوفهم بالبعثة المحمدية .

(ط) مزاعمهم فى أوصافهم ومن قتلوه .

(ى) من استهووه ومنهم خرافة .

(يا) توصيفهم رجل الغول وعين الشيطان .

(يب) مزاعمهم فى أرض وبار وبلاد الحوش .

(يج) مزعهمهم فى الصرع .

(يد) مزاعمهم فى الطاعون .

(يه) ما يزعمونه في تمثلهم وتصورهم .

(يو) رأيهم فى قرناءِ الشعراءِ النحول .

(يز) خيالهم في جن الشام والهند .

(يح) توهمهم ملامح الجن فى الإنس .

(يط) قولهم فى جنون الجن وصرع الشيطان .

(ك) ما يحكونه فى نيران السعالى والجن .

(كا) فلسفة ما تزعمه الأعراب من عزيف الجان وتغول الغيلان .

(وأما المقصد الثانى) ففي آراء فلاسفة الإسلام فى الجن (أ) ابن سيناء والفارابى (ب) أبو طالب المكي (ج) الغزالي (د) ابن حزم (هـ) الفخر الرازي (و) القاشاني (ز) الماوردي (ح) القاضى أبو يعلى ابن الفراءِ (ط) ابن تيمية (ى) ابن القيم (يا) الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده إنما تأثرت مذاهب الأعراب بما أُثر عن الأئمة في هذه المسألة انتقالاً إلى الجد في مباحثها إذا المقصد الأول أشبه بالجمام والمشراح لما شاب جده من مخاريق ومخايل وختمت البحث بمتفرقات من شوارد هذه المسألة تتميماً لفوائده وتأْييداً لمقاصده.

ليس لنا من مزية فيما أثرناه إلا انتقاءُ المهم مما طالعناه وترتيبه عَلَى هذا الأسلوب . نسأله تعالى أن يمن علينا بتنوير القلوب ويدخلنا فى عباده الذين يؤْمنون بالغيوب .

المقــدمة

* فيما قاله فلاسفة اللغة في الجن *

قال الراغب الأصبهاني في مفرداته في مادة جن : أصل الجن ستر الشيء عن الحاسة يقال: جنة الليل وأجنة والجنان القلب لكونه مستوراً عن الحاسة والجنة لكل بستان يستر بأشجاره الأرض (ثم قال) : والجن يقال عَلَى الروحانيين المستترة عن الحواس كلها بإزاءِ الإنس وسيأْتي تتمة كلامه.

وقال الزمخشري في أساس البلاغة: جنه ستره فاجتن واستجن بجنة استتر بها واجتن الولد في البطن وأجنته الحامل وواراه الليل أي ظلمته وفلان ضعيف الجنان وهو القلب وجنت الأرض بالنبات ولا جن بكذا أي لا خفاءَ به قال سويد :

ولا جن بالبغضاءِ والنظر الشزر

ونقل الإمام ابن جرير في سورة البقرة في تفسير آية ﴿ **وإذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس** ﴾ أن استثناءه من الملائكة يدل عَلَى أنه منهم وعن ابن إسحٰق أن العرب يقولون : ما الجن إلا كل من اجتن فلم يروا أن آية ﴿ **إلا إبليس كان من الجن** ﴾ أي كان من الملائكة وذلك أن الملائكة اجتنوا فلم يروا وأن آية ﴿ **وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً** ﴾ إشارة لقول قريش إن الملائكة بنات الله (قال) وقد قال الأعشى – أعشى بنى قيس بن ثعلبة البكري وهو يذكر سليمان بن داود وما أعطاه الله .

ولو كان شيءٌ خالداً ومعمرا   لكان سليمان البريّ من الدهر
براه إلهي فاصطفاه عبــاده   وملكه ما بين ثريا إلى مصر
وسخر من جن الملائك تسعة   قياماً لديه يعملون بلا أجر

(قال) : فأبت العرب في لغتها إلا أن الجن كل ما اجتن يقول : ما سمى الله الجن إلا أنهم اجتنوا فلم يروا وما سمى بني آدم إنساً إلا أنهم ظهروا فلم يجتنوا فما ظهر فهو إنس وما اجتن فلم ير فهو جن.

ثم قال ابن جرير : وأما خبر الله عنه إنه من الجن فغير مدفوع أن يسمى ما اجتن من الأشياءِ عن الأبصار كلها جناً كما قد ذكرنا قبل في شعر الأعشى فيكون إبليس والملائكة منهم لاجتنانهم عن أبصار بني آدم .

وقال الراغب الأصبهاني في مفرداته : الجن يقال عَلَى وجهين (أحدهما) للروحانيين المستترة عن الحواس كلها بإزاءِ الإنس فعلى هذا تدخل فيه الملائكة والشياطين فكل ملائكة جن وليس كل جن ملائكة وعَلَى هذا قال أبو صالح : الملائكة كلها جن وقيل: بل الجن بعض الروحانيين وذلك أن الروحانيين ثلاثة: (أخيار) وهم الملائكة (وأشرار) وهم الشياطين (وأوساط) وفيهم أخيار وأشرار وهم الجن ويدل عَلَي ذلك قوله تعالى: ﴿ **قل أوحي إلَيَّ** ﴾ إلى قوله عز وجل: ﴿ **وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون** ﴾.

* من ادعى من الأعراب والشعراء أنهم يرون الغيلان[1] ويسمعون عزيف الجان وما يشبهونه بالجن والشياطين وبأعضائهم وأعمالهم *

أنشد أَعرابى:

كأنــه لما تــدانى مقربـــه[2] وانقطعت أوذامه[3] وكربــه[4]

(١) جمع غول وهو شيطان يأْكل الناس – بزعمهم – أو دابة رأَتها العرب (قاموس) .
(٢) مصدر ميمي أي قربه .
(٣) جمع وذم كسبب وأسباب وهو سير يشد فى العنق .
(٤) بفتحتين حبل يشد في الوسط .

وجاءت الخيل جميعاً تذنبه[1] شيطان جن في هواء يرقبه
أذنب فانقض عليه كوكبه

وأنشد :

إن العقيلي لا تلقى له شبها ولو صبرت لتلقاه عَلَى العيس[2]
بينا تراه عليه الخز متكئاً إذ مر يهدج[3] في حش[4] الكرابيس[5]
وقد تكنفه عرامه[6] زمنا أشباه جن عكوف حول إبليس
إذ المفاليس يوماً حاربوا ملكا ترى العقيلي منهم في كراديس[7]

وقال أبو الخطفي :[8]

يرفعن بالليل إذا ما اسدفا أعناق جنان[9] وهاماً رجفا
وعنقا[10] بعد الرسيم[11] خيطفا[12]

وأنشد ابن الأعرابي :

غناءُ كليبي يرى الجن يبتغي صداه إذا ما آب للجن آيب

---

(١) ذنبه يذنبه ويذنبه تلاه فلم يفارق أثره كاستذنبه .

(٢) العيس بالكسر الإبل البيض .

(٣) أي يمشي مشية الشيخ .

(٤) الحش مثلثه موضع قضاء الحاجة .

(٥) جمع كرباس وهو ثوب قطن والكربسة مشي المقيد .

(٦) جمع عارم وهو الشرس الشديد المؤذي .

(٧) أي جموع عظيمة .

(٨) بفتحات للقب حذيفة جد جرير الشاعر .

(٩) جمع جن .

(١٠) بفتحتين نوع من السير .

(١١) الرسيم حسن المشي .

(١٢) كهيكل سريع المشي.

وقال الأعشى :

فإني وما كلفتموني اتباعــه ليعلم ربي من أعق وأحوبا[1]
لكالثور والجنّي يضرب ظهره وما ذنبه أن عافت الماء مشربا

وقال الرقياني :

بين اللهى منه إذا ما مدا مثل عزيف الجن[2] هدت هدا

وقال ذو الرمة :

قد أعسف[3] النازح المجهول معسفه في ظل أخضر يدعو هامه[4] اليوم
للجن بالليل في أرجائها زجل[5] كما تناوح بين الريح عيشوم[6]
دويـة[7] ودجـى ليـل كأنهمــا يمّ[8] تراطن[9] في حافاته الروم

وقال :

وكم عرست بعد السرى من معرس[10] بها من صداءِ الجن أصوات سامر

وقال :

كم جبت دونك من بهاء مظلمة تيه[11] إذا ما مغنى جنـه سمرا

---

(١) صار إلى الحوب بالفتح وهو الإثم .

(٢) العزيف صوت الجن وهو جرس يسمع في المفاوز بالليل والهدّ الصوت الغليظ .

(٣) أعسف عن الطريق مال وعدل وتخبط عَلَى غير هداية .

(٤) الهام جمع هامة وهو طائر من طير الليل وهو الصدى .

(٥) الزجل بفتحتين رفع الصوت .

(٦) جمع عيشومة وهي شجر وما هاج من نبت .

(٧) الدوية الفلاة .

(٨) اليم البحر .

(٩) تكلم بالأعجمية .

(١٠) أعرس القوم نزلوا آخر الليل للاستراحة كعرسوا والموضع معرس ومعرّس والسرى كهدى سير عامة الليل .

(١١) أرض تيه مضلة .

وقال :

ورمل لعزف الجن في عقداته هرير كتضراب المغنين بالطبل

وقال :

وتيهٍ خبطنا غولها وارتمى[1] بنا أبو البعد من أرجائه المتطاوح[2]

فلاة لصوت الجن في منكراتها هرير وللأبوام فيها نوائح

وطول اغتمامي في الدجي كلما رعت من الليل أصداءَ المثاني الصوائح

ويقولون لمن به لقوة[3] أو شتر[4] إذا شبَّ: يا لطيم الشيطان ويقولون للرجل المفرط الطول: يا ظل النعامة وللمتكبر الضخم. يا ظل الشيطان.

وكان عمر بن عبد العزيز أول من نهى الناس عن حمل الصبيان عَلَى ظهور الخيل يوم الحلبة وقال : تحملون الصبيان عَلَى الجنان وأنشد في تشبيه الإنس بالجن لأبي الجويرية العبدي :

إنس إذا أمنوا جن إذا فزعوا[5] مُرَزَّؤن بها ليل إذا حشدوا

وأنشدوا :

وقــلت والله لنرحلنــا قــلائصا تحسبهن جِنّــا

وقال ابن الزوائد :

بحور خفض لمن ألــمّ بهم جنّ بأرماحهم إذا خطـروا

وأنشدوا :

أني امرؤ تابعتني شيطانيـه آخيته عمري وقد آخانيـه

---

(١) ارتمى به ألقاه .

(٢) تطاوحت به النوى ترامت

(٣) داءٌ في الوجه .

(٤) الشتر انقلاب الجفن من أعلى وأسفل وانشقاقه .

(٥) هذا كقول الآخر من المولدين في الترك :

قوم إذا قوبلوا كانوا ملائكة حسنا وإن قوتلوا كانوا عفاريتا

يشرب في قعبي[١] وقد سقانيه فالحمد لله الذى أعطانيه

وقال عبيد بن أوس الطائي :

هل جاءَ أوساً ليلتي ونعيمها ومقام أوس في الخباءِ المشرج[٢]

مازالت أطوي الجنّ أسمع حسهم حتى دفعت إلي راق المروج

وأنشد آخر :

ذهبتم وعدتم بالأمير وقلتم تركنا أحاديثا ولحما موضّعا

فما زادني إلا سناءً ورفعة ولا زادكم في القوم إلا تخشعا

فما نفرت جني ولا فلّ مبردي[٣] وما أصبحت طيري من الخوف وقعا[٣]

وأشعارهم في هذا المعنى تفوت الحصر .

* إضافتهم مباني تدمر وأمثالها إلى الجن *

قال النابغة الذبياني :

إلا سليمان إذ قال الإله له قم في البرية فاحددها[٥] عن الفند[٦]

وخيس الجن[٧] أني قد أذنت لهم يبنون تدمر بالصُّفاح[٨] والعمد

قال الجاحظ : وأهل تدمر يزعمون أن ذلك البناء قبل زمن سليمان عليه السلام بأكثر مما بيننا اليوم وبين سليمان بن داود عليهما السلام « قالوا » ولكنكم إذا رأيتم بنيانا عجيبا وجهلتم موضع الحيلة فيه أضفتموه إلى الجن و لم

---

(١) أي قدحي .

(٢) أي المشدود بالشرج وهو العري .

(٣) الفل الثلم .

(٤) الطير إذا كانت عَلَى شجر أو أرض يقال لها وقوع ووقع .

(٥) أي أمنعها .

(٦) أي الكذب .

(٧) أي ذللها .

(٨) كرمان حجارة عراض رقاق والعمد جمع عماد .

تعانوه بالفكر . وقال العرجي :

سدت مسامعها لقرع مراحل　　من نسج جن مثله لا ينسج

وقال الأصمعي: السيوف المأثورة هي التي يقال إنها من عمل الجن لسليمان بن داود عليهما السلام فأما القوارير والجمامات فذلك ما لا شك فيه . وقال البعيث :

بني زياد لذكر الله مصنعة　　من الحجارة لم تعمل من الطين

كأنها غيران الإنس ترفعهـا　　مما بنت لسليمان الشيـاطين

وقال الأعشى في بناء الشياطين لسليمان :

أرى عاديا لم يمنع الموت ربه　　وورد بتيماء اليهودي أبلـق[١]

بناه سليمان بن داود حقبة[٢]　　له جندل[٣] صم وطي موثق[٤]

* تفرقتهم بين مواضع الجن *

قال الجاحظ : كما يقولون قنفذ برقة[٥] وضب سحا[٦] وأرنب الخلة[٧] وذئب خمر[٨] فيفرقون بينهما وبين ما ينسب لذلك إما في السمن وإما في الخبث وإما في القوة كذلك أيضاً يفرقون بين مواضع الجن فإذا نسبوا الشكل

---

(١) الأبلق الفرد حصن للسموأل بن عاديا بناه أبوه أو سليمان بأرض تيماء وقصدته الزباء فعجزت عنه وعن مارد فقالت : تمرد مارد وعزّ الأبلق وتيماءُ قرية معروفة عَلَى نحو عشر ساعات من منزلة المعظم – إحدى منازل ومواقف السكة الحجازية – تابعة لحكومة نجد .

(٢) الحقبة بالكسر مدة من الدهر لا وقت لها والسنة .

(٣) كجعفر ما يقله الرجل من الحجارة .

(٤) أي محكم .

(٥) بضم فسكون إحدى ديارات العرب .

(٦) بفتح أوله مقصور الآخر منوناً جمع سحاة وهي ناحية وشجرة شاكة .

(٧) الخلة بالفتح الثقبة الصغيرة والرملة المنفردة .

(٨) الخمر بفتحتين ما واراك من شجر وغيره وجبل بالقدس كما فى القاموس.

منها إلى موضع معروف فقد خصوه من الخبث والقوة والعرامة[1] بما ليس لجملتهم وجمهورهم قال لبيد :

غلب[2] تشذر[3] بالدخول كأنها   جن البدي[4] رواسيا أقدامها

وقال النابغة :

سهكين[5] من صدإ الحديد كأنهم   تحت النسور[6] جنة البقار[7]

وقال زهير :

عليهن فتيان كجنة عبقر[8]   جديرون يوما أن ينيفوا فيستعلو

وقال حاتم :

عليهن فتيان كجنة عبقر   يهزون بالأيدي الوشيج المقوما[9]

* تنزيلهم الجن في مراتب *

قال الجاحظ : ثم ينزلون الجن في مراتب فإذا ذكروا الجني سالماً قالوا : جنّي. فإذا أرادوا أنه ممن سكن مع الناس قالوا : عامر والجميع عمار . وإن كان ممن يعرض للصبيان فهم أروح فإن خبث أحدهم وتعرم فهو شيطان .

---

(١) أي الشراسة والأذى .

(٢) جمع أغلب .

(٣) تشذر تهيأ للقتال وتوعد وتهدد .

(٤) بضم فكسر يقال قوم بدي وبدا بادون.

(٥) السهك صدأ الحديد .

(٦) بفتح أوله وثانيه وتشديد ثالثه مفتوحاً لبوس كالدرع .

(٧) واد وموضع برمل عالج كثير الجن «قاموس» .

(٨) موضع كثير الجن «قاموس» .

(٩) أي الرمح واصل الوشيج شجر الرماح .

فإن زاد على ذلك في القوة فهو عفريت والجمع عفاريت . وعم في الجملة جن وخوافي قال الشاعر :

ولا يحس سوى الحافي بها أثر

فإذا ظهر الجني ونطق واتقى وصار خيراً كله فهو ملك في قول من تأول قوله : ﴿ **كان من الجن ففسق عن أمر ربه** ﴾ عَلَى أن الجن في هذا الموضع الملائكة وقال آخرون : كان منهم عَلَى الإضافة إلى الدار والديانة لا عَلَى أنه كان من جنسهم وإنما ذلك عَلَى قولهم : سليمان بن يزيد العدوي وسليمان بن طوحان التيمي وأبو علي العبدري وعمرو بن قائد الأسواري : أضافوهم إلى المحال وتركوا أنسابهم في الحقيقة :

وقال آخرون : كل مستجن هو جني وجان وجنين وكذلك الولد في البطن قيل له جنين لكونه في البطن واستجنانه وقيل للميت الذي في القبر جنين وقال عمرو بن كلثوم :

ولا شمطاء[1] لم تدع المنايا لها من تسعة إلا جنينا

يخبر أنها دفنتهم كلهم « قالوا » وكذلك الملائكة من الحفظة والحملة والكروبيين[2] فلابد من طبقات ، وربما فرق بينهم بالأعمال واشتق لهم الأسماء من السبب كما قالوا لواحد من الأنبياءِ: خليل الله وقالوا لآخر: كليم الله وقالوا لآخر: روح الله . والعرب تنزل الشجعان في المراتب والاسم العام شجاع ثم بهمة[3] أليس هذا ـرل أبي عبيدة :

فأما قولهم: شيطان الحماطة[4] فإنهم يعنون الحية وأنشد الأصمعي :

(١) الشمط بياض الرأس يخالط سواده .

(٢) بتخفيف الراء في القاموس هم سادة الملائكة .

(٣) بضم فسكون قال في القاموس هو الشجاع الذي لا يهتدى من أين يؤتى .

(٤) بفتح الحاء شجر شبيه بالتين أحب شجر إلى الحيات .

تلاعب مثنى حضرمي كأنه تعمج شيطان بذوي خروع[1] قفر

وقد يسمون الكبر والطغيان والخنزوانية[2] والغضب الشديد شيطانا عَلَى التشبيه .

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : والله لأنزعن نعرته[3] ولأضربنه حتى أنزع شيطانه من نحرته[4] وقال حسان بن ثابت في معنى قوله: والله لأضربنه حتى أنزع من رأسه شيطانه فقال :

وداويـــة[5] سبسب سملـــق من البيـد تعـرف جنـــانها
قطـعت بعيرانـــة[6] كالفنيـــق يمرح في الآل شيطـــــانها

وأبين منه قول منظور بن رواحة :

أتاني وأهلي بالرماح وغمـرة مسب[7]عريف اللؤم حتى بني بدر
فلما أتاني ما تقول تقلصت شياطين رأسي وانتشين من الخمر

والأعراب تجعل الخوافي والمستجنات من قبل أن ترتب المراتب جنين تقول حن وجن بالجيم والحاءِ وأنشدوا .

أبيت أهوى في شياطين ترن مختلف نجارها حـن وجـن

ويجعلون الحن فوق الجن وقال أعشى سليم :

---

(١) كدرهم نبت لا يرعى .
(٢) بضم الخاء هو الكبير .
(٣) بالضم أي خيشومه .
(٤) أي أعلي صدره .
(٥) الداوية الفلاة والسبسب الأرض البعيدة المستوية والسملق القاع الصفصف .
(٦) العيرانة بالفتح من الإبل الناجية في نشاط . والفتيق الفحل المكرم . والآل السراب .
(٧) بكسر ففتح كثير السباب .

فما أنا من جن إذا كنت خافيا ولست من النسناس في عنصر البشر

ذهب إلى قول من قال: البشر ناس ونسناس والخوافي حن وجن ويقول أنا من أكرم الحيين حيث ما كنت .

وضعفه النساك وأغبياء العباد يزعمون أن لهم خاصة شيطاناً قد وكل بهم يقال له: المذهب يسرج لهم النيران ويضيء لهم الظلمة ليفتنهم وليريهم العجب إذا ظنوا أن ذلك من قبل الله تعالى .

(قال) : وأما الخابل والخبل فإنما ذلك اسم للجن الذين يخبلون ويتعرضون ممن ليس عنده إلا العزيف والنوح وفصل أيضاً لبيد بينهم فقال :

أعاذل لو كان البداد[1] لقوتلوا ولكن أتانا كل جن وخابل

* زعمهم أن الغول من أنثى الجن وكذلك السعلاة *

قال الجاحظ : « قالوا » إذا تعرضت الجنية وتلونت وعبثت فهي شيطانة ثم غول . وربما جعلوا الغول اسماً لكل شيءٍ من الجن يعرض للسفار ويتلون في ضروب الصور والثياب ذكراً كان أو أنثى إلا أن الأكثر عَلَى أنه أنثى وقد قال أبو المضراب عبيد بن أيوب العنبري :

وحالفت الوحوش وحالفتني بقرب عهودهن وبالبعاد
وأمسى الذئب يرصدني محشا[2] لخفة ضربتي ولضعف آدي
وغولاً قفرة ذكر وأنثى كأن عليهما قطع البجاد

فجعل في الغيلان الذكر والأنثى وقد قال الشاعر في تلونها:

(١) أي البراز أي لو بارزناهم رجل رجل لغلبوا بفتح الباء .

(٢) يقال هو محش حرب بالكسر أي موقد لها .

وما تزال على حال تكون بها　　كما تلون في أثوابها الغـول

فالغول ما كان كذلك . (والسعلاة) اسم لواحدة من نساء الجن تتغول لتفتن السفار « قالوا » : وإنما هذا منها عَلَى العبث أو لعلها أن تفزع إنساناً فيتغير عقله من أجله عند ذلك لأنهم لم يسلطوا عَلَى الصحيح العقل ولو كان ذلك لبدءوا بعليّ بن أبي طالب وحمزة بن عبد المطلب وأبي بكر وعمر في زمانهما وبغيلان والحسن في دهرهما وبواصل وعمرو في أيامهما وقد فرق بين الغول والسعلاة عبيد بن أيوب حيث يقول :

وساخرة مني لأولو أن عينها　　رأت ما أُلاقيه من الهول جنت
أزل وسعـلاة وغـول بقفـرة　　إذ الليل وارى الجن فيه أرنت[1]

وهم إذا رأوا الفتاة حديدة الطرف والذهن سريعة الحركة ممشوقة محضة . قالوا سعلاة وقال الأعشى :

ورجـال قـتلى بجنبـي أريك[2]　　ونساءٍ كـأنهن السعـالى

ويقولون: تزوج عمرو بن يربوع السعلاة وقال الراجز :

يا قاتل الله بنى السعلاة .

وفي تلون السعلاة يقول عباس بن مرادس السملي :

أصابت القوم غول جل قومهم　　وسط البيوت ولون الغول ألوان

وقال عبيد بن أيوب وكان جوالاً في مجهول الأرض لما اشتد خوفه وطال تردده وأبعد في الهرب :

لقد خفت حتى لو تمر حمامة　　لقلت عدو أو طليعة معشر
فإن قيل أمن قلت هذي خديعة　　وإن قيل خوف قلت حقاً فشمر
وخفت خليلى ذا الصفاء ورابني　　وقيل فلان أو فلانة فاحذر

---

(١) أي صاحت .
(٢) كأمير واد .

فلله در الغول أي رفيقة لصاحب قفر خائف متنفر
أنت بلحن بعد لحن وأوقدت حوالّى نيراناك تلوح وتزهر
وأصبحت كالوحشي يتبع ما خلا ويطلب مأنوس البلاد المبعثر

ومما ذكر الغيلان قوله :

تقول وقد ألمت بالاسنس لمة مخضبة الأطراف خرس الخلاخل
أهذا خليل الغول والذئب والذي يهيم بربات الحجال الكواهل
رأت خلق الأدراس[1] أشعث شاحباً عَلَى الجدب بساماً كريم الشمائل
تعوّد من آبائه فتكاتهم وإطعامهم في كل غبراء[2] شامل

ومما قال في هذا المعنى :

علام ترى ليلى تعذب بالمنى أخا قفرات كان بالذئب يأنس
وصار خليل الغول بعد عداوة صفيا وربته القفار البسابس[3]

وقال في هذا المعنى :

فلولا رجال يا منيع رأيتهم لهم خلق عند الجوار حميد
أنا لكم مني نكال وغارة لها ذنب، لم تدركوه بعيد
أقل بنو الإحسان حتى أغرتم عَلَى من يثير الجن وهي هجود

وتزعم الأعراب أن الغول إذا ضربت ضربة ماتت إلا أن يعيد عليه الضارب قبل أن تقضي ضربة أخرى فإنه إن فعل ذلك لم تمت وقد قال شاعرهم :

فثنيت والمقدار يحرس أهله فليت يميني قبل ذلك شلت

---

(١) الأدراس جمع دريس وهو الثوب الخلق .

(٢) الغبراء من السنين الجدبة .

(٣) جمع بسبس كسبسب أو هو مقلوبه وهو القفر الخالي .

وأنشدوا لأبي البلاد الطهوي :

لهان عَلَى جهينة ما ألاقي ... من الروعات يوم رحا بطان[1]

لقيت الغول تسري في ظلام ... بسهم كالعيابة صحصحان[2]

فقلت لها كلانا نضو[3] أرض ... أخو سفر فصدي عن مكاني

فصدت وانتحيت لها بعضب ... حسام غير مؤتشب[4] يماني

فقد سراتها[5] والبرد منها ... فخرت لليدين وللجران

فقالت زد فقلت رويد إني ... عَلَى أمثالها ثبت دهاني

شددت عقالها وحططت عنها ... لأنظر غدوة ماذا دهاني

إذا عينان في وجه قبيح ... كوجه الهر مشقوق اللسان

ورجلا مخدج[6] ولسان كلب ... وجلد من قراب أو شنان

قال الجاحظ : وأبو البلاد الطهوي هذا كان من شياطين الأعراب وهو كما ترى يكذب وهو يعلم ويطيل الكذب ويجيزه وقد قال كما ترى :

فقالت زد فقلت رويد إني ... عَلَى أمثالها ثبت الجنان

لأنهم هكذا يقولون يزعمون أن الغول تستزيد بعد الضربة الأولى لأنها تموت من ضربة وتعيش من ألف ضربة .

* زعمهم أنهم يظهرون لهم ويكلمونهم ويناكحونهم *

قال الجاحظ ومن قول الأعراب أنهم يظهرون لهم ويكلمونهم ويناكحونهم

---

(١) بكسر الوحدة موضع .
(٢) الأرض المستوية الجرداء .
(٣) النضو بالكسر حديدة اللجام المهزول من الإبل .
(٤) بفتح الشين أي معاب .
(٥) بفتح السين أي ظهرها .
(٦) بفتح الدال هو ولد الناقة ناقص الخلق .

ولذلك قال شمر بن الحارث الضبّي :

ونار قد حضأت[1] بعيد[2] وهـن — بـدار لا أُريـد بها مقامـاً
سوى تحليـل راحـة وعين — أكالئهـا مخافـة أن تنامـا
أَتوا ناري فقلت منون أنتم — فقالوا الجن قلت عموا ظلاما
فقلت إلى الطعام فقال منهم — زعيم نحسد الإنس الطعامـا

وذكر أبو زيد عنهم أن رجلا منهم تزوج السعلاة وأنها كانت عنده زمانا وولدت منه حتى رأَت ذات ليلة برقاً عَلَي بلاد السعالى فطارت إليهن فقال :

رأَى برقاً فأوضع[3] فوق بكـر — فلأْياً مـا إسال ومـا أعامـا

فمن هذا النتاج المشترك وهذا الخلق المركب « عندهم » بنو السعلاة من بني عمرو بن يربوع وبلقيس ملكة سبأ:

وتأولوا قول الشاعر :

لا هـم أن جـرهما عبـادكا — الناس طـرف[4] وهـم تـلادكا

فزعموا أن أبا جرهم من الملائكة الذين كانوا إذا عصوا في السماء أُنزلوا إلى الأرض كما قيل في هاروت وماروت فجعلوا سهيلاً عشاراً مسخ نجماً وجعلوا الزهرة امرأة بغياً مسخت نجماً وكان اسمها أناهيد . وتقول الهند في الكوكب الذي يسمى عطارد شبيها بهذا . ويقول الناس فلان مخدوم يذهبون إلى أنه إذا عزم عَلَى الشياطين والأرواح والعمار أجابوه وأطاعوه . فمنهم عبد الله بن هلال الحميري . الذي كان يقال له صديق إبليس . ومنهم كدياس الهندي وصالح الموسوي . وقد كان عبيد يقول إن العامري حريص عَلَى إجابة العزيمة ولكن البدن إذا لم يصلح أن يكون هيكلاً لم يستطع دخوله

---

(١) حضأ النار أوقدها .
(٢) تصغير بعد .
(٣) أي أسرع فوق ناقة . واللأْي الشدة والأسالة الجري والإعامة مسير الإبل .
(٤) الطريف المستحدث والتليد القديم .

والحيلة في ذلك أن يتبخر باللبان الذكر ويراعي سير المشتري ويغتسل بالماء القراح ويدع الجماع وأكل الزهومات ويتوحش في الفيافي ويكثر دخول الخرابات حتى يرق ويلطف ويصير فيه مشابهة من الجن فإنِ عزم عند ذلك فلم يجب فلا يعودن لمثلها فإنه ليس ممن يكون بدنه هيكلاً لها ومتى عاد خبطه فربما جن وربما مات قال : فلو كنت ممن يصلح أن يكون لهم هيكلاً لكنت فوق عبد الله بن هلال .

« قال الأعراب » : وربما نزلنا بجمع كثير ورأينا خياماً وقباباً وناساً ثم فقدناهم من ساعتنا والعوام تروى أن ابن مسعود رضى الله عنه رأى رجلاً من الزط فقال : هؤلاءِ أشبه من رأيت من الجن ليلة الجن . وقد روي عنه خلاف ذلك .

وقال أبو النجم * بحيث تستن من الجن الغول * فأخرج الجن من الغول الذي باتت به الجن . وهذا من عادتهم أن يخرجوا الشيء من الجملة بعد أن دخل ذلك الشيء في الجملة فيظهر لأمر خاص .

وفي بعض الرواية أنهم كانوا يسمعون في الجاهلية من أجواف الأوثان همهمة وأن خالد بن الوليد حين هدم العزى رمته بالشرر حتى احترق عامة فخذه حتى عوذه النبى صلى الله عليه وسلم « قال الإمام الجاحظ رحمه الله تعالى » : وهذه فتنة لم يكن الله تعالى ليمتحن بها الأعراب من العوام « قال » : وما أشك أنه كان للسدنة حيل وألطاف لمكان التكسب . ولو سمعت أو رأيت بعض ما قد أعدّ الهند من هذه المخاريق في بيوت عباداتهم لعلمت أن الله تعالى قد من عَلَى جهلة الناس بالمتكلمين الذين قد نشوا فيهم : يعني علماء الكلام وفلاسفة الدين عليهم رضوان الله .

* مزاعمهم في الهاتف والناقل والرئيّ [1] *

قال الجاحظ : والأعراب وأشباه الأعراب لا يتحاشون من الإيمان بالهاتف

(١) الرئي كغني ويكسر جني يرى فيحب أو المكسور للمحبوب منهم (قاموس) .

بل يتعجبون ممن رد ذلك فمن ذلك حديث الأعشى بن ماس بن زرارة الأسدي أنه سمع هاتفاً يقول :

لقد هلك الفياض غيث بني فهر   وذو الباع والمجد الرفيع وذو القدر

قال فقلت مجيباً له :

إلا أيها الناعي أخا الجود والندى   من المرءِ تنعاه لنا من بني فهر

فقال :

نعيت ابن جدعان بن عمرو أخا الندى   وذا الحسب القدموس والمنصب القصر

وهذا الباب كثير .

« قالوا » : ولنقل الجن الأخبار علم الناس وفاة الملوك والأمور المهمة كما تسامعوا بموت المنصور في اليوم الذي توفي فيه بقرب مكة . وهذا الباب أيضاً كثير .

« وكانوا » يقولون إذا ألف الجنى إنساناً وتعطف عليه وخبره ببعض الأخبار وجد حسه ورأى خياله ، وإذا كان عندهم كذلك قالوا مع فلان رئّي من الجن . وممن يقولون ذلك فيه عمرو بن لحاء ابن قمعة – والمأمون الحارثي – وعتيبة بن الحارث بن شهاب في ناس معروفين من ذوي الأقدار من بين فارسٍ رئيسٍ وسيد مطلع .

فأما الكهان[1] فمثل حارثة بن جهينة وكاهنة باهلة وعنز سلمة ومثل شق وسطيح وأشباههم .

---

(١) قال ابن الأثير في النهاية : الكاهن الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان ويدعي معرفة الأسرار وقد كان في العرب كهنة كشق وسطيح وغيرهما فمنهم من كان يزعم أن له تابعاً من الجن ورئياً يلقي إليه الأخبار ومنهم من كان يزعم أنه يعرف الأمور بمقدمات أسباب يستدل بها عَلَى مواقعها من كلام من يسأله أو فعله أو حاله وهذا يخصونه باسم العراف كالذي يدعي معرفة الشيءْ المسروق ومكان الضالة ونحوهما .ا هـ وقال أيضاً : العراف المنجم أو الحازي الذي يدعي علم الغيب وقد استأثر الله تعالى به .

وأما العراف وهو دون الكاهن فمثل الأبلق الأسيدي والأجلح الزهري وعروة بن زيد الأسدي وعراف اليمامة رباح بن كحلة وهو صاحب المستنير البلتعي وقد قال الشاعر :

فقلت لعراف اليمامة داوني — فإنك إن أبرأتني لطبيب

وقال جبهاء الأشجعي :

أقام هوى صفية في فؤادي — وقد سيرت كل هوى حبيب

لك الخيرات كيف منحت ودّي — وما أنا من هواك بذي نصيب

أقول وعروة الأسدي يرقي — أتاك برقية الملق الكذوب

لعمرك ما التثاؤب يا ابن زيدٍ — بشافٍ من رقاك ولا مجيب

لسير الناعجات أظن أشفى — لما بي من طبيب بني الذهوب

ليس الباب الذي يدعيه هؤلاءِ من جنس العيافة[1] والزجر والخطوط والنظر في أسرار الكف وفي مواضع قرض الفار وفي الخيلان في الجسد وفي النظر في الأكتاف والقضاءِ بالنجوم والعلاج بالفكر .

وقد كان مسيلمة يدعي أن معه رئياً في أول زمانه ولذلك قال الشاعر حين وصف مخاريقه وخدعه :

ببيضة قارور وراية شادن — وخلة جني وتوصيل طائر

ألا تراه ذكر خلة الجنّي .

* ما روي من هتوفهم بالبعثة المحمدية *

حكى الإمام الماوردي في أعلام النبوة ما رواه أهل السير من هتوف الجن

---

(١) العيافة زجر الطير والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرها وكان ذلك من عادة العرب كثيراً وهو كثير في أشعارهم يقال عاف يعيف إذا زجر وحدس وظن . أفاده ابن الأثير . وقال أيضاً الزجر للطير هو التيمن والتشؤم بها والتفؤل بطيرانها كالسانح والبارح وهو نوع من الكهانة والعيافة .

برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه وأنه كان من آيات نبوته الصادرة عن إلهام فمن ذلك ما رواه عثمان بن عبد الرحمن عن محمد بن كعب قال : بينما عمر بن الخطاب رضوان الله عليه ذات يوم جالساً إذ مرَّ به رجل فقيل له : أتعرف هذا المار يا أمير المؤمنين قال : ومن هو قالوا : هذا سواد بن قارب قال : أنت سواد بن قارب قال : نعم يا أمير المؤمنين فقال : أنت الذي أتاك رئيك بظهور النبي صلى الله عليه وسلم قال : نعم يا أمير المؤمنين بينا أنا ذات ليلة بين النائم واليقظان إذ أتاني رئيٌ من الجن فضربني برجله وقال : قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالي واعقل إن كنت تعقل إنه قد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من لؤَي بن غالب يدعو إلى الله تعالى وإلى عبادته وأنشأ يقول :

عجبت للجن وتطلابها ... وشدها العيس بأقتابها
تهوي إلى مكة تبغي الهدى ... ما صادق الجن ككذابها
فارحل إلى الصفوة من هاشم ... فليس قدماها كأذنابها

فقلت له : دعني فإني أمسيت ناعسا ولم أرفع بما قال رأساً فلما كانت الليلة الثانية أتاني فضربني برجله وقال : قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي واعقل إن كنت تعقل إنه قد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من لؤَي بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته وأنشأ يقول :

عجبت للجن وتخبارها ... وشدها العيس بأكوارها
تهوي إلى مكة تبغي الهدى ... ما مؤمنو الجن ككفارها
فارحل إلى الصفوة من هاشم ... بين روابيها وأحجارها

فقلت : دعني فقد أمسيت ناعسا ولم أرفع بما قال رأساً فلما كانت الليلة الثالثة أتاني فضربني برجله وقال : قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي واعقل إن كنت تعقل قد بعث رسول الله من لؤَي بن غالب يدعو إلى الله تعالى وإلى عبادته وأنشأ يقول :

عجبت للجن وتجساسها وشدها العيس بأحلاسها
تهوي إلى مكة تبغي الهدى ما خير الجن كأنجاسها
فارحل إلى الصفوة من هاشم واسم بعينيك إلى رأسها

قال : فأصبحت وقد امتحن الله قلبي للإسلام فرحلت ناقتي وأتيت المدينة فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقلت : اسمع مقالي يا رسول الله قال : هات فأنشأت .

أتاني نجيٌّ بين هدو ورقدة ولم أك فيما قد نجوت بكاذب
ثلاث ليال قوله كل ليلة أتاك رسول من لؤَي بن غالب
فشمرت من ذيل الإزار ووسطت بي الذعلب الوجناء بين السباسب
فأشهد أن الله لا شيءَ غيره وأنك مأمون على كل غائب
وأنك أدنى المرسلين وسيلة إلى الله يابن الأكرمين الأطايب
فمرنا بما يأْتيك يا خير من مشى وإن كان فيما جاءَ شيب الذوائب
وكن لي شفيعاً يوم لا ذو شفاعة سواك بمغن عن سواد بن قارب

قال: ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بمقالتي فرحاً شديداً ووثب إليه عمر فالتزمه وقال: قد كنت أحب أن أسمع منك هذا الحديث فهل يأْتيك رئيك اليوم فقال: مذ قرأْت القرآن فلا ونعم العوض كتاب الله من الجن .

وروى إبراهيم بن سلامة بسنده إلى رجل من خثعم قال: كانت خثم لا تحل حلالاً ولا تحرم حراماً وكانت تعبد أصناماً (قال) : فبينا نحن عند صنم منها ذات ليلة نتقاضى إليه في أمر قد شجر بيننا إذ صاح صائح من جوفه .

يا أيها الركب ذوو الأحكام ما أنتم وطائش الأحلام
ومسندو الحكم إلى الأصنام
هذا نبي سيد الأنام يصدع بالحق وبالإسلام
أعدل ذي حكم من الأحكام

ويتبع النور عَلَى الإظلام سيعلن في البلد الحرام

قد طهر الناس من الآثام

قال الخثعمى : ففزعنا منه وخرجت إلى مكة وأسلمت مع النبي صلى الله عليه وسلم .

وروى إبراهيم بن سلامة بسنده عن رجل حدث عمر بن الخطاب قال له : خرجت وأصحاب لي في تجارة لنا نريد الشام فصحبنا رجل من يهود فلما كنا ببعض أودية الشام هتف هاتف :

إياك لا تعجل وخذها موبقه فإن شر السير سير الحقحقه

قد لاح نجم فاستوى في مشرقه يكشف عن ظلما عبوس موبقه

يدعو إلى ظل جنان مونقه

فقال اليهودي : تدرون ما يقول هذا الصارخ قلنا : ما يقول قال : يخبر أن نبياً قد ظهر خلافكم بمكة فقدمنا فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم بمكة .

ومن بشائر هتوفهم ما حكاه أبو عيسى قال : سمعت قريش في الليل هاتفاً على أبي قبيس (جبل) يقول :

فإن يسلم السعدان يصبح محمد بمكة لا يخشى خلاف مخالف

فلما أصبحوا قال أبو سفيان من السعدان سعد بكر وسعد تميم فلما كانا في الليلة الثانية سمعوه يقول :

أيا سعد سعد الأوس كن أنت ناصرا ويا سعد سعد الخزرجين الغطارف

أجيبا إلى داعي الهدى وتمنيا عَلَى الله في الفردوس منية عارف

فإن ثواب الله للطالب الهدى جنان من الفردوس ذات زخارف

قال الماوردي : ولئن كانت هذه الهتوف إخبار آحاد عمن لا يرى شخصه ولا يحج قوله فخروجه عن العادة نذير وتأثيره في النفوس بشير وقد قبلها السامعون وقبول الأخبار يؤكد صحتها ويؤيد حجتها (فإن قيل) إن كانت هتوف الجن من دلائل النبوة جاز أن تكون دليلاً عَلَى صحة الكهانة فعنه جوابان

(أحدهما) أن دلائل النبوة غيرها وإنما هي من البشائر بها وفرق بين الدلالة والبشارة إخباراً (والثاني) أن الكهانة عن مغيب والبشارة عن معين فالعيان معلوم والغائب موهوم . اهـ كلام الماوردي .

* مزاعمهم في أوصافهم ومن قتلوه *

يقولون من الجن جنس صورة الواحد منهم عَلَى نصف صورة الإنسان واسمه « شق » وأنه كثيراً ما يعرض للرجل المسافر إذا كان وحده فربما أهلكه فزعاً وربما أهلكه ضرباً وقتلاً (قالوا) : فمن ذلك حديث علقمة بن صفوان بن أُمية بن حرب الكناني حد مروان بن الحكم في الجاهلية خرج وهو يريد مالاً له بمكة وهو عَلَى حمار وعليه إزار ورداء ومعه مقرعة في ليلة أضحانية حتى انتهى إلى موضع يقال له حائط جرمان فإذا هو بشق له يد ورجل وعين معه سف وهو يقول :

علقم إني مقتول وإن لحمي مأكول

أضربهم بالذهلول[1] ضرب غلام شملول

رحب الذراع بهلول

فقال علقمة :

يا شق ها مالي ولك اغمد عني منصلك

تقتل من لا يقتلك

قال شق :

عنيت لك عنيت لك كيما أبيح مقتلك

فاصبر لما قد حم لك[1]

فضرب كل واحد منهما صاحبه فخرا ميتين . فممن قتلت الجن علقمة بن

(١) الذهلول بالضم الفرس الجواد ولعل المراد به هنا السيف .

صفوان هذا وحرب بن أمية قالوا وقالت الجن :

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر

(قالوا) : ومن الدليل أن هذين البيتين من أشعار الجن أن أحداً لا يستطيع أن ينشدهما ثلاثة مرات متصلة لا يتعتع فيها وهو يستطيع أن ينشد أثقل شعر في الأرض وأشقه عشر مرات ولا يتعتع .

(قالوا) : وقتلت مرداس بن أبي عامر أبا عباس بن مرداس - وقتلت الغريض خنقاً بعد أن غنى بالغناء الذي كانوا نهوه عنه - وقتلت الجن سعد بن عبادة بن ديلم وسمعوا الهاتف يقول :

نحن قتلنا سيد الخز رج سعد بن عباده

ورميناه بسهمين فلم نخط فؤَاده

* من استهووه [٢] ومنهم خرافة *

(وقالوا) : استهووا سنان بن أبي حارثة ليستفحلوه فمات فيهم واستهووا طالب بن أبي طالب فلم يوجد له أثر إلى يومنا هذا - واستهووا عمرو بن عدي اللخمي الملك الذي يقال فيه شب عمرو عن الطوق ثم ردوه عَلى جذيمة الأبرش بعد سنين - واستهووا عمارة بن المغيرة ونفخوا في أحليله فصار مع الوحش .

ويروون عن عبد الله بن قتادة يرفعه قال: خرافة رجل من عذرة استهوته الشياطين ورووا عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه سأل المفقود الذي استهوته الجن ما كان طعامهم قال : الروث : قال فما كان شرابهم قال : البول .

---

(١) أي قضى .

(٢) في القاموس : استهوته الشياطين ذهبت بهواه وعقله أو استهامته وحيرته أو زينت له هواه .

* توصيفهم رجل الغول وعين الشياطين *

العامة تزعم أن الغول يتصور في أحسن الصورة إلا أنه لابد أن تكون رجلها رجل حمار ، وخبروا عن الخليل بن أحمد أن أعرابياً أنشده :

وحافر العير في ساق خدلجة[1]   وجفن عين خلاف الإنس في الطول

وذكروا أن العامة تزعم أن شق عين الشياطين بالطول : قال الجاحظ : وما أظنهم أخذوا هذين المعنيين إلا عن الأعراب .

* مزاعمهم في أرض وبار وبلاد الحوش [2] *

تزعم الأعراب أن الله تعالى حين أهلك الأمة التي كانت تسمى وبار كما أهلك طمسا وجديسا وعملاقا وثمود وعادا أن الجن سكنت في منازلهم وحمتها من كل من أرادها وأنها أخصب بلاد الله وأكثرها شجراً وأطيبها ثمراً وأكثرها حباً وعنباً وأكثرها نخلاً وموزاً فإن دنا إنسان من تلك البلاد متعمداً أو غالطاً حثوا في وجهه التراب فإن أبى الرجوع خبلوه وربما قتلوه .

(قال الجاحظ) : والموضع نفسه باطل فإن قيل لهم دلونا عَلَى جهته وأوقفونا عَلَى حده وخلاكم ذم زعموا أن من أراده ألقى عَلى قلبه الصرفة حتى كأنهم أصحاب موسى في التيه وقال الشاعر :

وداع دعا والليل مرخ سدوله   رجاء القري يا مسلم بن حمار
دعا جعلا لا يهتدي لمقيله   من اللؤم حتى يهتدي لوبار

فهذا الشاعر الأعرابي جعل أرض وبار مثلاً في الضلال ، والأعراب

---

(١) خدلجة أي ممتلئة .

(٢) بضم الحاء المهملة في القاموس : الحوش بلاد الجن أو فحول الجن .

يتحدثون عنها كما يتحدثون عما يجدونه بالدو[1] والصمان[2] والدهناء[3] ورمل يبرين[4] وما أكثر ما يذكرون أرض وبار في الشعر عَلَى معنى هذا الشاعر (قالوا) : فليس اليوم في تلك البلاد إلا الجن والإبل الحوشية من الإبل عندهم هي التي قد ضربت فيها فحول إبل الجن فالحوشية من نسل إبل الجن والعبدية والمهرية والعسجدية والعمانية قد ضربت فيها الحوش وقال رؤبة :

حوت رجال من بلاد الحوش

وقال ابن هرمة :

كأنى عَلَى حوشية أو نعامة لها نسب في الطير وهو ظليم

وإنما سموا صاحبة يزيد بن الطثربة حوشية عَلَى هذا المعنى ، وقال بعض أصحاب التفسير في قوله تعالى: ﴿ **وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً** ﴾ أن جماعة من العرب كانوا إذا صاروا في تيه من الأرض وتوسطوا بلاد الحوش خافوا عبث الجنان والسعالي والغيلان والشياطين فيقوم أحدهم فيرفع صوته إنا عائذون بسيد هذا الوادي فلا يؤذيهم أحد وتصير لهم بذلك خفارة .

* مزاعمهم فى الصرع *

يزعمون أن المجنون إذا صرعته الجنية وأن المجنونة إذا صرعها الجني أن

---

(١) الدو – والدوية – والداوية ويخفف الفلاة ودوى تدوية أخذ في الدو .

(٢) الصمان كل أرض صلبة ذات حجارة إلى جنب رمل وموضع بعالج .

(٣) الدهناءُ الفلاة وموضع لتميم بنجد .

(٤) ويقال أبرين قال في القاموس : رمل لا تدرك أطرافه عن عين يمين مطلع الشمس من حجر اليمامة .

ذلك إنما هو عَلَى طريق العشق والهوى وشهوة النكاح ، وأن الشيطان يعشق المرأة منا – وأن نظره إليها من طريق العجب بها أشد عليها من حمى أيام – وأن عين الجان أشد من عين الإنسان .

* مزاعمهم فى الطاعون [1] *

قال الجاحظ : العرب تزعم أن الطاعون طعن من الشيطان ، وتسمي الطاعون رماح الجن ، قال الأسدي للحارث الغسانى ملك غسان :

لعمرك ما خشيت على أبيّ رماح بني مقيدة الحمار
ولكني خشيت على أبيّ رماح الجن أو إياك حار

يقول: لم أكن أخاف عَلَى أبيّ مع منعته وصرامته أن تقتله الأنذال ومن يرتبط العير دون الفرس ولكنى إنما كنت أخافك عليه فتكون أنت الذي تطعنه أو يطعنه طاعون الشام وقال العماني يذكر دولة بني العباس :

قد دفع الله رماح الجن وأذهب العذاب والتجني

وقال زيد بن جندب الأيادي :

ولولا رماح الجن ما كان هزمهم رماح الأعادي من فصيح وأعجم

ذهب إلى قول أبى داود :

سلط الموت والمنون عليهم فلهم في صدا المقابر هام[2]

يعني الطاعون الذي أصاب أيادا ، وروي أن عمرو بن العاص قام في الناس في طاعون عمواس فقال : إن هذا الطاعون قد ظهر وإنما هو وخز من الشيطان ففروا منه في هذه الشعاب : وبلغ ذلك ابن جبل فأنكر عليه .

---

(١) أطل الطاعون الطعن والقتل بالرماح ثم أطلق عَلَى المرض العام والوباء الذي يكثر فيه الموتان .

(٢) الهامة اسم طائر كانوا يتشاءمون بها وهي من طير الليل وقد قيل إنها البومة وكانت=

* ما يزعمونه في تمثيلهم وتصورهم *

قال الجاحظ : تزعم العامة « أن الله تعالى قد ملك الجن والشياطين والعمار والغيلان أن يتحولوا في أي صورة شاؤوا إلا الغول فإنها تتحول في جميع صورة المرأة ولباسها إلا رجليها فلابد أن يكونا رجلي حمار » .

وإنما قاسوا تصور الجن عَلَى تصور جبريل عليه السلام في صورة دحية ابن خليفة الكلبي – وعلى تصور الملائكة الذين أتوا مريم وإبراهيم ولوطاً وداود في صورة المؤمنين – وعَلَى ما جاء في الأثر من تصور إبليس في صورة سراقة بن مالك – وعَلَى تصوره في صورة الشيخ النجدي .

(قالوا) : فإذا استقام أن تختلف صورهم وأخلاط أبدانهم وتتفق عقولهم ونياتهم واستطاعتهم جاز أيضاً أن يكون إبليس لعنة الله عليه والشيطان والغول أن يتبدلوا في الصورة من غير أن يتبدلوا في العقل والبيان والاستطاعة . اهـ

ونقل الحافظ أحمد ابن حجر في فتح الباري عن البيهقي في مناقب الشافعي بإسناده عن الربيع قال : سمعت الشافعي يقول : من زعم أنه يرى الجن أبطلنا شهادته إلا أن يكون نبياً . اهـ

(قال ابن حجر) : وهذا محمول عَلَى من يدعي رؤيتهم عَلَى صورهم التي خلقوا عليها وأما من ادعى أنه يرى شيئاً منهم بعد أن يتطور عَلَى صور شتى من الحيوان فلا يقدح فيه وقد تواردت الأخبار بتطورهم في الصور ،

= الأعراب تزعم أن روح القتيل الذي لا يدرك بثأره تصير هامة فتقول أسقوني فإذا أدرك بثأره طارت وقيل كانوا يزعمون أن عظام الميت أو روحه تصير هامة فتطير ويسمونه الصدى فنفاه الإسلام ونهاهم عنه (اهـ نهاية) .

(قال) : واختلف أهل الكلام في ذلك فقيل هو تخييل فقط ولا ينتقل أحد عن صورته الأصلية وقيل بل ينتقلون لكن لا باقتدارهم عَلَى ذلك بل بضرب من الفعل إذا فعله انتقل كالسحر (أي الشعبذة) (قال) : وهذا قد يرجع إلى الأول . اهـ وسيأْتي تحقيق تمثلهم في أول مباحث الخاتمة .

* رأيهم في قرناء الشعراء الفحول *

قال الجاحظ : يزعمون أن مع كل فحل من الشعراء شيطاناً يقول ذلك الفحل على لسانه الشعر ويقولون اسم شيطان المخبل[1] عمرو اسم شيطان الأعشى مسحل[2] وكذلك أيضاً اسم شيطان الفرزدق عمرو وقد ذكر الأعشى مسحلاً حين هجاه جهنام فقال :

دعوت خليلي مسحلا ودعوا له   بجهنام يدعى للهجين المذمم

وذكره الأعشى فقال :

حباني أخي الجنّي نفسي فداؤه   بأفيح جياش العشيات مرجم

وقال أعشى سليم :

وما كان جنّي الفرزدق أسوة   وما كان فيهم مثل فحل المخبل
وما في الخوافي مثل عمرو وشيخه   ولا بعد عمرو شاعر مثل مسحل

وقال الفرزدق في مديح أسد بن عبد الله :

لتبلغن أبا الأشبال مدحتنا   من كان بالغور أو طودي خراسانا
كأنها الذهب العقيان حبرها   لسان أشعر خلق الله شيطانا

وقال :

فلو كنت عندي يوم قرء عذرتني   بيوم دهتني جنه وخبائله

فمن أجل هذا البيت ومن أجل قول الآخر :

(١) بزنة اسم مفعول .

(٢) كمنير .

إذا ما زاع جارية[1] فلاق خبال الله من إنس وجن

زعموا أن الخابل الناس . ولما قال بشار بن برد :

دعاني شقنان إلى خلف بكرة فقلت أتركني فالتفرد أحمد

أي أحمد لي في الشعر من أن يكون لي عليه من معين فقال : أعشى سليم يرد عليه .

إذا ألف الجني قرداً مشنفاً فقولوا لخنزير الجزيرة أبشر

فجزع بشار عند ذلك جزعاً شديداً لأنه كان يعلم مع تغزله أن وجهه وجه قرد وكان أول ما عرف من جزعه من ذكر القرد الذي رأوا منه حتى أنشد قول حماد عجرد :

ويا أقبح من قرد إذا ما عمي القرد

وفي أن مع كل شاعر شيطاناً يقال معه قول أبي النجم .

إني وكل شاعر من البشر شيطانه أنثى وشيطاني ذكر

وقال آخر :

إني وإن كنت صغير السن وكان في العين نبوٌّ عني

فإن شيطاني كبير الجن

وأما قول عمرو بن كلثوم :

وقد هرت كلاب الجن منا وشذبنا قتادة من يلينا

فإنهم يزعمون أن كلاب الجن هم الشعراء . ومما دل على أنهم يقولون أن مع كل شاعر شيطاناً قول شاعرهم .

إذا ما ترعرع فينا الغلا م فليس يقال له من هوه

إذا لم يسد قبل شد الإزا ر فذلك فينا الذي لاهوه

---

(١) أي اجتذبها .

ولي صاحب من بني الشيصبا ن فطوراً أقول وطهوراً هوه
وشيصبان وشنقنان رئيسان ومن آباء القبائل في زعمهم وقد ذكرهما أبو النجم .

لاني شنقنان وشيصبان

* خيالهم في جن الشام والهند *

قال الجاحظ : وأصحاب الرقي والأخذ والعزائم والسحر والشعبذة يزعمون أن العدد والقوة في الجن والشياطين لنزالة الشام والهند وأن عظيم الهند يقال له (سكويرك) وعظيم شياطين الشام يقال له « در كاراب » وقد ذكرهما أبو إسحق في هجائه محمد بن بشير حين ادعى هذه الصناعة فقال :

قد لعمري جمعت من اصعياب ثم من شعر آدم والخراب
وتفردت بالطوالق والهيكل والدهتمات من كل باب
وعلمت الأسماءَ كي ما تلاقي زحلاً والمريخ فوق السحاب
واستثرت الأرواح بالبحر يأتين لصرح الصحيح بعد المصاب
جامعاً من لطائف الدهمسيا ت كنوسا نعتها في كتاب
ثم أحكمت متقن الكرويا ت وفعل الناريس والنجاب
ثم لم تفتك السعاية والخد مة والإخفاءُ بالطلاب
بالخواتيم والمناديل والسعي بسكويرك ودركاراب

* توهمهم ملامح الجن في الإنس *

قال القعقاع بن معبد بن زرارة في ابنه عوف بن القعقاع : والله لما أرى في عوف من شمائل الجن أكثر مما أرى فيه من شمائل الإنس : وقال بجير بن أيوب :

أخو قفرات حالف الجن وانتفى   من الإنس حتى قد تقضت وسائله
له نسب الإنسي يعرف نجله   وللجن منه خلقه وشمائله

وقال الآخر :

وصار خليل الغول بعد عداوة   صفيا وربته القفار البسابس
فليس بجني فيعرف نجله   ولا هو إنس تحتويه المجالس
يظل ولا يبدي لشيءٍ نهاره   ولكنه بنتاع[1] والليل دامس

* قولهم في جنون الجن وصرع الشيطان *

أنشد أعرابي :

فما يعجب الجنان منك عدمتهم   وفي الأسد أفراس لهم ونجائب
أتسرج يربوعا وتلجم قنفذا   لقد أعوزتهم ما عملت المراكب
فإن كانت الجنان جنت فبالحرى   ولا ذنب لأقدار والله غالب
وما الناس إلا خادع ومخدع   وصاحب إسهاب وآخر كاذب

وقال دعلج بن الحكم :

وكيف يفيق الدهر كعب بن ناشب   وشيطانه عند الأهلة يصرع

وأنشد عبد الرحمن بن منصور الأسدي :

جنونك مجنون ولست بواجد   طبيباً يداوي من جنون جنون

وأنشد :

أتوني بمجنون يسيل لعابه   وما صاحبي إلا الصحيح المسلم

وقال ابن ميادة :

فلما أتاني ما تقول محارب   تغنت شياطين وجن جنونها

---

(١) أي يخرج .

وحكت لها مما أقول قصائدا ترامت بها صهب المهاري وجونها

وقال في التمثيل :

إن شرخ الشباب[1] والشعر الأسو د ما لم يعاضِ كان جنوناً

وقال الآخر :

قالت عهدتك مجنونا فقلت لها إن الشباب جنون برؤه الكبر

وما أحسن ما قال الشاعر :

جادت بها عند الغداة يمينه كلتا يدي عمرو الغداة يمين

ما أن يجود بمثلها في مثله إلا كريم الخيم[1] أو مجنون

وقال الجمحي :

ولو أنني لم أنل منكم معاقبة إلا السنان بذات الموت مطعون

أو لا خطبت فأني قد هممت به بالسيف إن خطيب السيف مجنون

وأنشد :

هم أحموا حمى الرقبى بضرب يؤلف بين أشتات المنون

فنكب عنهم درء الأعادي وداووا بالجنون من الجنون

* ما يحكونه من نيران السعالي والجن *

أنشد أبو زيد لسهم بن الحارث :

ونار قد حضأت بعيد هدء بدار لا أريد بها مقاما

سوى تحليل راحلة وعين أكالئها مخافة أن تناما

---

(١) أي أوله .

(٢) بكسر الخاء المعجمة السجية والطبيعة .

أتوا ناري فقلت منون أنتم فقالوا الجن قلت عموا ظلاماً
فقلت إلى الطعام فقال منهم زعيم نحسد الإنس الطعاما

قال الجاحظ : وهذا غلط وليس من هذا الباب بل الذي يقع ههنا قول أبي المطراب عبيد بن أيوب :

فلله در الغول أي رفيقة لصاحب قفر خائف متنفر
أرنت[1] بلحن بعد لحن وأوقدت حواليّ نيران تبوخ[2] وتزهر

* فلسفة ما تزعمه الأعراب من عزيف الجنان وتغول الغيلان *

قال الجاحظ رحمه الله : كان أبو إسحاق يقول في الذي تذكر الأعراب من عزيف الجنان وتغول الغيلان أصل هذا الأمر وابتداؤه أن القوم لما نزلوا ببلاد الوحش عملت فيهم الوحشة ، ومن انفرد وطال مقامه في البلاد والخلاء والبعد من الإنس أستوحش ولاسيما مع قلة الاشتغال والمذاكرين والوحدة ، لا تقطع أيامهم إلا بالمنى أو بالتفكير ، والفكر ربما كان من أسباب الوسوسة وقد ابتلى بذلك غير حاسب كأبي ياسر ومثنى ولد الفنافر (قال) : وخبرني الأعمش أنه فكر في مسألة فأنكر أهله عقله حتى حموه وداووه ، وقد عرض ذلك لكثير من الهند وإذا استوحش الإنسان مثل له الشيء الصغير في صورة الكبير وارتاب وتفرق ذهنه وانتقضت أخلاطه فيرى مالا يرى ويسمع ما لا يسمع ويتوهم عَلَى الشيء الصغير الحقير أنه عظيم جليل ثم جعلوا ماتصور لهم من ذلك شعراً تناشدوه وأحاديث توارثوها فازدادوا بذلك إيماناً ونشأ عليه الناشئُ وربي به الطفل فصار أحدهم حين يتوسط الفيافي وتشتمل عليه الغيطان في الليالي الحنادس ، فعند أول وحشة أو فزعة وعند صياح بوم

---

(١) أي صوتت .
(٢) أي تسكن .

ومجاوبة صدا وقد رأى كل باطل وتوهم كل زور وربما كان في الجنس وأصل الطبيعة نفاحاً كذاباً وصاحب تشنيع وتهويل فيقول في ذلك من الشعر عَلَى حسب هذه الصفة فعند ذلك يقول رأيت الغيلان وكلمت السعلاة ثم يتجاوز ذلك إلى أن يقول قتلتها ثم يتجاوز ذلك إلى أن يقول رافقتها ثم يتجاوز ذلك إلى أن يقول تزوجتها قال عبيد بن أيوب :

فلله در الغول أيّ رفيقة لصاحب قفر خائف متنفر

وقال :

أهذا رفيق الغول والذئب والذي يهيم بربات الحجال الهواكل

وقال آخر :

أخو قفرات حالف الجن وانتفى من الإنس حتى قد تقضت وسائله

له نسب الإنسي يعرف نجله وللجن منه خلقه وشمائله

ومما زادهم في هذا الباب وأغراهم به ومدّ لهم فيه أنهم ليس يلقون بهذه الأشعار وبهذه الأخبار إلا أعرابياً مثلهم وإلا غبياً لم يأخذ نفسه قط لتمييز ما يوجب التكذيب والتصديق أو الشك ولم يسلك سبيل التوقف والتثبت في هذه الأجناس قط - وأما أن يلقوا رواية شعر أو صاحب خبر فالرواية عندهم كلما كان الأعرابي أكذب في شعره كان أظرف عندهم وصارت روايته أغلب ومضاحيك حديثه أكثر فلذلك صار بعضهم يدعي رؤْية الغول أو قتلها أو مرافقتها أو تزويجها ، وآخر يزعم أنه رافق في مغارة نمرا فكان يطاعمه ويؤاكله فمن هؤلاء خاصة القتال الكلابي فإنه الذي يقول :

أيرسل مروان الأمير رسالة لآتيه إني إذاً لمضلل

وما بي عصيان ولا بعد منهل ولكنني من خوف مروان أوجل

وفي ساحة العنقاء أو في عماية أو الأود[1] ما من رهبة الموت موئل

---

(١) الأود بالضم موضع بالبادية .

ولي صاحب في الغار هدك صاحبا هو الجون[1] إلا أنه لا يعلل
إذا ما التقينا كان جل حديثنا صماتا وطرف كالمعابل[2] أكحل
تضننت الأروى[3] لنا بطعامنا كلانا له منها نصيب ومأكل
فأغلبه في صنعة الزاد أنني أميط الأذى عنه ولا يتأمل
وكانت لنا طب[4] بأرض مضلة شريعتنا لأي من جاء أول
كلانا عدوّ لو يري في عدوه محزاً وكل في العداوة مجمل

وأنشد الأصمعي :

ظللنا معا جارين نحترس الثأي[5] يشاربني من فضلتي وأشاربه

ذكر سبعاً ورجلاً قد توافقا فصار كل واحد منهما يدع فضلاً من سؤره ليشرب صاحبه ، والثأي الفساد ، وخبر أن كل واحد منهما يحترس من صاحبه .

فأما من جميع ما ذكرناه عنهم فإنما يخبرون عنه من جهة المعاينة والتحقيق وإنما المثل في هذا مثل قوله :

قد كان شيطانك من خطابها وكان شيطاني من طلابها
حينا فلما اعتركا ألوى بها

والإنسان يجوع فيسمع في أذنه كالدويّ وقال الشاعر :

دويّ الفيافي رابه فكأنه أميم[6] وساري الليل للضوء يعود

يعود أي يضجر ، وربما قال الغلام لمولاه دعوتني فيقول : لا وإنما اعترى مسامعه ذلك لعرض لا أنه سمع صوتاً .

---

(١) أي الأسود
(٢) جمع معبلة بكسر فسكون وهو النصل العريض الطويل .
(٣) بضم الهمزة أثنى الوعول .
(٤) بالكسر أي عادة وشان .
(٥) كالثرى الإفساد وسيذكره .
(٦) الأميمة كجهينة الحجارة تشدخ بها الرؤوس .

ومن هذا الباب قول تأبط شراً أو قول القائل في كلمة له :

يظل بموماة ويمسي بقفرة جحيشاً[1] ويعروري ظهور المهالك
ويسبق وفدّ الريح من حيث ينتحي بمنخرق من شدة المتدارك
إذا خاط عينيه كرى النوم لم يزل له كالٍئٌ من قلب شبحان فاتك
ويجعل عينيه ربيئة قلبه إلى سلة من حد أخضر باتك
إذا هزه في عظم قرن تذللت نواجذ أفواه المنايا الضواحك
يرى الإنس وحشي الفلاة ويهتدي بحيث اهتدت أم النجوم الشوابك

(قال الجاحظ) : ويدل عَلَى ما قال أبو إسحق من نزولهم في بلاد الوحش وبين الحشرات والسباع ما رواه لنا أبو مسهر عن أعرابي من بني تميم نزل ناحية الشام فكان لا يعدمه في كل ليلة أن يعضه أو يعض ولده أو بعض حاشيته سبع من السباع أو دابة من دواب الأرض فقال :

تعاورني دين وذل وغربة ومزق جلدي ناب سبع ومخلب
وفي الأرض أحناش وسبع وحارب ونحن أساري وسطها نتلقب

ثم عد في قصيدته ما ينيف عن الثلاثين صنفاً ما بين حيوان وحشرات .

(١) الجحيش كأمير الشق والناحية .

* أقوال متقدمي فلاسفة الإسلام في الجن *

« ابن سيناء والفارابي »

قال ابن سينا رحمه الله في كتاب الحدود : الجن حيوان هوائي ناطق مشف الجرم من شأنه أن يتشكل بأشكال مختلفة (قال) : وليس هذا رسمه بل هو معنى اسمه . اهـ قال أبو البقاء في كليانه : أي هذا بيان لمدلول هذا اللفظ مع قطع النظر عن انطباقه على حقيقة خارجية سواءٌ كان معدوماً في الخارج أو موجوداً ولم يعلم وجوده فيه فإن التعريف الاسمي لا يكون إلا كذلك بخلاف التعريف الحقيقي فإنه عبارة عن تصور ما له حقيقة خارجية في الذهن (ثم قال أبو البقاء) : وجمهور أرباب الملل المصدقين بالأنبياء قد اعترفوا بوجوده واعترف به جمع عظيم من قدماءِ الفلاسفة أيضاً .

وفي رسالة للمعلم الثاني أبى نصر محمد الفارابي في جواب مسائل سئل عنها ما مثاله :

(سئل) فيما رآه بعض العوام في معنى الجن وسأله عن ماهيته (فقال) : الجن حي غير ناطق غير مائت وذلك عَلَى ما توجبه القسمة التي يتبين منها حد الإنسان المعروف عند الناس أعني الحي الناطق المائت ، وذلك أن الحي منه ناطق مائت وهو الإنسان ومنه ناطق غير مائت وهو الملك ومنه غير ناطق مائت وهو البهائم ، ومنه غير ناطق غير مائت وهو الجن : فقال السائل : الذي في القرآن مناقض لهذا وهو قوله : ﴿ **أستمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجبا** ﴾ والذي هو غير ناطق كيف يستمع وكيف يقول : فقال : ليس ذلك بمناقض وذلك أن السمع والقول يمكن أن يوجد للحي من حيث هو حي لأن القول والتلفظ غير التمييز الذي هو النطق ، وترى كثيراً من البهائم لا قول لها وهي حية ، وصوت الإنسان مع هذه

المقاطع هو له طبيعي من حيث هو حي بهذا النوع كما أن صوت كل نوع من أنواع الحيّ لا يشبه صوت غيره من الأنواع كذلك هذا الصوت بهذه المقاطع التي للإنسان مخالف لأصوات غيره من أنواع الحيوان ، وما قولنا : غير مائت فالقرآن يدل بذلك في قوله تعالى : ﴿ **رب انظرني إلى يوم يبعثون قال إنك من المنظرين** ﴾. اهـ

« أبو طالب المكي »

قال في قوت القلوب في الفصل الثلاثين في تفصيل خواطر القلوب ما مثاله بعد سرد آيات وقال تعالى : ﴿ **يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم** ﴾ وقال : ﴿ **ومن كل شيءٍ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون** ﴾ فمن السواء والتعديل والازدواج والتقويم أدوات الظاهر وأعراض الباطن وهي حواس الجسم والقلب . فأدوات الجسم هي الصفات الظاهرة . وأعراض القلب هي المعاني الباطنة قد عدلها الله تعالى بحكمته وسواها عَلَى مشيئته وقومها إتقاناً بصنعته وإحكاماً بصنعه (أولها) : النفس والروح وهما مكانان للقاء العدو والملك وهما شخصان ملقيان للفجور والتقوى (ومنها) : غرضان متمكنان في مكانين وهما العقل والهوى عن حكمين في مشيئة حاكم وهما التوفيق والإغواء (ومنها) : نوران ساطعان في القلب عن تخصيص من رحمة راحم وهما العلم والإيمان فهذه أدوات القلب وحواسه ومعانيه الغائبة وآلاته والقلب في وسط هذه الأدوات كالملك وهذه جنوده تؤدي إليه أو كالمرآة المجلوّة وهذه الآلة حوله تظهر فيراها ويقدح فيه فيجدها .

(ثم قال) : فإذا أراد الله تعالى إظهار خير من خزانة الروح حركها فسطعت نوراً في القلب فأثرت فينظر الملك إلى القلب فيرى ما أحدث الله تعالى فيه فيظهر مكانه فيتمكن عَلَى مثال فعل العدو في خزانة الشر وهي النفس ، والملك مجبول عَلَى حب الهداية مطبوع عَلَى حب الطاعة كما أن

العدو مجبول على الغواية مطبوع عَلَى حب المعصية فيلقي الملك الإلهام وهو خطورة على القلب بقدح خواطره يأْمر بتقييد ذلك ويحسنه له ويحثه عليه وهذا هو إلهام التقوى والرشد .

(ثم قال) : ذكر تقسيم الخواطر وتفصيل أسمائها ، فأما تسمية جملة الخواطر فما وقع في القلب من عمل الخير فهو (إلهام) .

وما وقع من عمل الشر فهو (وسواس) .

وما وقع في القلب من المخاوف فهو (الحساس) .

وما كان من نقدير الخير وتأْميله فهو (نية) .

وما كان من تدبير الأمور المباحات وترجيها والطمع فيها فهو (أمنية وأمل) .

وما كان من تذكرة الآخرة والوعد والوعيد فهو (تذكر وتفكير) .

وما كان من معاينة الغيب بعين اليقين فهو (مشاهدة) .

وما كان من تحدث النفس بمعاشها وتصريف أحوالها فهو (هم) .

وما كان من خواطر العادات ونوازع الشهوات فهو (لمم) .

ويسمى جميع ذلك (خواطر) لأنه خطور همة نفس أو خطور عدوّ بحسد أو خطرة ملك بهمس . اهـ ملخصاً

« الغزالي »

قال في المضنون الكبير : الملائكة والجن والشياطين جواهر قائمة بأنفسها مختلفة بالحقائق اختلافاً يكون بين الأنواع مثال ذلك القدرة فإنها مخالفة للعلم والعلم مخالف للقدرة وهما مخالفا اللون واللون والقدرة والعلم أعراض قائمة بغيرها فكذلك بين الملك والشيطان والجن اختلاف ومع ذلك فكل واحد جوهر قائم بنفسه وقد وقع الاختلاف بين الجن والملك فلا يدري أهو اختلاف بين النوعين كالاختلاف بين الفرس والإنسان أو الاختلاف في الأعراض كالاختلاف بين الإنسان الناقص والكامل وكذا الاختلاف بين الملك

والشيطان وهو أن يكون النوع واحداً والإختلاف واقعاً في العوارض كالاختلاف بين الخير والشرير والإختلاف بين النبي والوليّ ، والظاهر أن اختلافهم بالنوع والعلم عند الله تعالى ، وهذه الجواهر المذكورة لا تنقسم أعني أن محل العلم بالله تعالى واحد لا ينقسم فإن العلم الواحد لا يحل إلا في محل واحد وحقيقة الإنسان كذلك فالعلم والجهل بشيء واحد في محل واحد متضادان وفي المحلين غير متضادين وأما أن هذا الجوهر غير منقسم وهل هو متحيز أم لا فهذا الكلام عائد إلى معرفة الجزءِ الدي يتجزأُ فإن استحال الجزء الذي لا يتجزأُ فهذا الجوهر غير منقسم ولا متحيز وإن لم يستحل الجزء الذي لا يتجزأُ فيمكن أن يكون هذا الجوهر متحيزاً — وقد قال قوم لا يجوز أن يكون غير منقسم ولا متحيز فإن الله تعالى غير منقسم ولا متحيز فما الذي يفصل هذا من ذلك وهذا غير مبرهن عليه لأنه ربما تباينا في حقيقة الذات وإن سلب عنهما الانقسام والتحيز والأمور المكانية وتلك سلوب والاعتبار بالحقائق لأن ما سلب عن الحقائق كالعرضين المختلفين بالحدّ والحقيقة الحالين في محل واحد فإن إيجاب إحتياجهما إلى المحل وكونهما في المحل لا يفيد تماثلهما فكذلك سلب الاحتياج إلى المحل والمكان لا يفيد اشتراك الشيئين ويمكن أن تشاهد هذه الجواهر أعني جواهر الملائكة وإن كانت غير محسوسة وهذه المشاهدة عَلَى ضربين أما عَلَى سبيل التمثيل كقوله تعالى : ﴿ **فتمثل لها بشراً سويا** ﴾ وكما كان النبي عليه الصلاة والسلام يرى جبريل في صورة دحية الكلبي[1] والقسم الثاني أن يكون لبعض الملائكة بدن محسوس كما أن نفوسنا غير محسوسة ولها بدن محسوس هو محل تصرفها وعالمها الخاص بها فكذلك بعض الملائكة وربما كان هذا البدن المحسوس

---

(١) وقال الغزالي قبل ذلك في مبحث الرؤْية : وتمثل جبريل في صورة دحية الكلبي ليس بمعنى أنه انقلب ذات جبريل صورة دحية الكلبي بل إنه ظهرت الصورة للرسول مثالاً مؤدياً عن جبريل ما أوحى إليه وكذلك قوله تعالى : ﴿ **فتمثل لها بشر سويا** ﴾ . اهـ

موقوفاً عَلَى إشراق نور النبوة كما أن محسوسات عالمنا هذا موقوف عند الإدراك عَلَى إشراق نور الشمس وكذا في الجن والشياطين . اهـ

وقال الغزالى في الإحياء في بيان تسلط الشيطان عَلَى القلب بالوسواس بعد تمهيد مقدمة ما مثاله : فمبدأ الأفعال الخواطر ثم الخاطر يحرك الرغبة والرغبة تحرك العزم والعزم يحرك النية والنية تحرك الأعضاء والخواطر المحركة للرغبة تنقسم إلى ما يدعو إلى الشر أعني ما يضر في العاقبة وإلى ما يدعو إلى الخير أعني إلى ما ينفع في الدار الآخرة فهما خاطران مختلفان فافتقر إلى اسمين مختلفين فالخاطر المحمود يسمى إلهاماً والخاطر المذموم أعني الداعي إلى الشر يسمى وسواساً ثم إنك تعلم أن هذه الخواطر حادثة ثم إن كل حادث فلابد له من محدث ومهما إختلفت الحوادث دل ذلك عَلَى اختلاف الأسباب هذا ما عرف من سنة الله تعالى في ترتيب المسببات عَلَى الأسباب فمهما استنارت حيطان البيت بنور النار وأظلم سقفه واسود بالدخان علمت أن سبب السواد غير سبب الاستنارة وكذلك لأنوار القلب وظلمته سببان مختلفان فسبب الخاطر الداعي إلى الخير يسمى (ملكاً) وسبب الخاطر الداعي إلى الشر يسمى (شيطاناً)[1] واللطف يتهيأ به القلب لقبول إلهام الخير يسمى (توفيقاً) والذي به يتهيأ لقبول وسواس الشيطان يسمى (إغواءُ وخذلان) فإن المعاني المختلفة تفتقر إلى أسامي مختلفة . و (الملك) عبارة عن خلق خلقه الله تعالى شأنه إفادة الخير وإفادة العلم وكشف الحق والوعد بالخير والأمر بالمعروف وقد خلقه وسخره لذلك . (والشيطان) عبارة عن خلق شأنه ضد ذلك وهو الوعد بالشر والأمر بالفحشاء والتخويف عند الهم بالخير بالفقر . فالوسوسة في مقابلة الإلهام . والشيطان في مقابلة الملك .

---

(١) يؤيده آية ﴿ **من شر الوسواس** ﴾ (والوساوس) حقيقة في المصدر الذي هو الوسوسة . ويشبه ما للغزالي هنا قول من قال إن الشيطان قوة من جملة القوى الإنسانية وهكذا قال الراغب : كل قوة ذميمة للإنسان فهو شيطان .

والتوفيق فى مقابلة الخذلان . وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿ **ومن كل شيءٍ خلقنا زوجين** ﴾ .

« ابن حزم »

قال رحمه الله في كتابه الفصل في الكلام عَلَى الجن ووسوسة الشيطان وفعله في المصروع : لم ندرك بالحواس ولا علمنا وجوب كونهم ولا وجوب امتناع كونهم في العالم أيضاً بضرورة العقل لكن علمنا بضرورة العقل إمكان كونهم لأن قدرة الله تعالى لا نهاية لها وهو عز وجل يخلق ما يشاء ولا فرق بين أن يخلق خلقاً عنصرهم التراب والماء فيسكنهم الأرض والهواء والماء — وبين أن يخلق خلقاً عنصرهم النار والهواء فيسكنهم الهواء والنار والأرض بل كل ذلك سواء وممكن في قدرته لكن لما أخبرت الرسل الذين شهد الله عز وجل بصدقهم بما أبدى عَلَى أيديهم من المعجزات المحيلة للطبائع بنص الله عز وجل عَلَى وجود الجن في العالم وجب ضرورة العلم بخلقهم ووجودهم وقد جاء النص بذلك وبأنهم أمة عاقلة مميزة متعبدة موعودة متوعدة متناسلة يموتون وأجمع المسلمون كلهم عَلَى ذلك نعم والنصارى والمجوس والصابئون وأكثر اليهود ، وهم يروننا ولا نراهم قال الله تعالى : ﴿ **إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم** ﴾ فصح أن الجن قبيل إبليس قال الله عز وجل : ﴿ **إلا إبليس كان من الجن** ﴾ ، وإذ أخبرنا الله عز وجل أننا لا نراهم فمن ادعى أنه يراهم أو رآهم فهو كاذب إلا أن يكون من الأنبياء عليهم السلام فذلك معجزة لهم كما نص رسول الله صلى الله عليه وسام أنه تفلت عليه الشيطان ليقطع عليه صلاته قال : « فأخذته فذكرت دعوة أخي سليمان ولولا ذلك لأصبح موثقاً يراه أهل المدينة » أو كما قال عليه السلام وكذلك في رواية عن أبي هريرة الذي رأى إنما هي معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا سبيل إلى وجود خبر يصح برؤية جنى بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما هي منقطعات أو عمن لا خير فيه .

وهم أجسام رقاق صافية هوائية لا ألوان لهم وعنصرهم النار كما أن عنصرنا التراب وبذلك جاء القرآن قال الله عز وجل : ﴿ **والجان خلقناه من قبل من نار السموم** ﴾ والنار والهواء عنصران لا ألوان لهما وإنما حدث اللون في النار المشتعلة عندنا لامتزاجها برطوبات ما تشتعل فيه من الحطب والكتان والأدهان وغير ذلك ولو كانت لهم ألوان لرأيناهم بحاسة البصر ولو لم يكونوا أجساماً صافية رقاقاً هوائية لأدركناهم بحاسة اللمس .

وصح النص بأنهم يوسوسون في صدور الناس وأن الشيطان يجري من ابن آدم مجري الدم فوجب التصديق بكل ذلك حقيقة وعلمنا أن الله عز وجل جعل لهم قوة يتوصلون بها إلى قذف ما يوسوسون به في النفوس ، برهان ذلك قول الله تعالي : ﴿ **من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس** ﴾ ونحن نشاهد الإنسان يرى من له عنده ثأر فيضطرب وتتبدل أعراضه وصورته وأخلاقه وتثور ناريته ، ويرى من يحب فيثور له حال أخرى ويبتهج وينبسط ، ويري من يخاف فتحدث له حال أخرى من صفرة ورعشة وضعف نفس ، ويشير إلى إنسان آخر بإشارات يحيل بها طبائعه فيغضبه مرة ويخجله أخرى ويقرعة ثالثة ويرضيه رابعة ، وكذلك يحيله أيضاً بالكلام إلى جميع هذه الأحوال فعلمنا أن الله عز وجل جعل للجن قوى يتوصلون بها إلى تغيير النفوس والقذف فيها بما يستدعونها إليه نعوذ بالله من الشيطان الرجيم ووسوسته ومن شرار الناس وهذا هو جريه من ابن آدم مجرى الدم كما قال الشاعر :

وقد كنت أجري في حشاهن مرة　　كجري معين الماء في قصب الآس

(وأما الصرع) فإن الله عز وجل قال : ﴿ **كالذي يتخبطه الشيطان من المس** ﴾ فذكر عز وجل تأثير الشيطان في الصرع إنما هو بالمماسة فلا يجوز لأحد أن يزيد على ذلك شيئاً ومن زاد عَلَى هذا شيئاً فقد قال ما لا علم به وهذا حرام لا يحل قال عز وجل : ﴿ **ولا تقف ما ليس لك به**

علم ﷺ وهذه الأمور لا يمكن أن تعرف البتة إلا بخبر صحيح عنه صلى الله عليه وسلم ولا خبر عنه عليه السلام بغير ما ذكرنا وبالله التوفيق فصح أن الشيطان يمس الإنسان الذي يسلطه الله عليه مساً كما جاءَ في القرآن يثير به من طبائعه السوداء والأبخرة المتصاعدة إلى الدماغ كما يخبر به عن نفسه كل مصروع بلا خلاف منهم فيحدث الله عز وجل له الصرع والتخبط حينئذ كما نشاهده وهذا هو نص القرآن وما توجبه المشاهدة وما زاد عَلَى هذا فخرافات من توليد العزامين والكذابين وبالله تعالى نتأيد . اهـ كلام ابن حزم

« الفخر الرازي »

قال في مباحث الاستعاذة من أوائل تفسيره : أطبق الكل عَلَى أنه ليس الجن والشياطين عبارة عن أشخاص جسمانية كثيفة تجيءُ وتذهب مثل الناس والبهائم بل القول المحصل فيه قولان (الأول) أنها أجسام هوائية قادرة على التشكل بأشكال مختلفة ولها عقول وأفهام وقدرة عَلَى أعمال صعبة شاقة (والقول الثاني) أن كثيراً من الناس أثبتوا أنها موجودات غير متحيزة ولا حالة في المتحيز وزعموا أنها موجودات مجردة عن الجسمية (قالوا) : وهذه الأرواح قد تكون مشرقة إلهية خيرة سعيدة وهي المسماة بالصالحين من الجن . وقد تكون كدرَة سفلية شريرة وهي المسماة بالشياطين (ثم قال) : واعلم أن قوماً من الفلاسفة طعنوا في هذا المذهب وزعموا أن المجرد يمتنع عليه إدراك الجزئيات والمجردات يمتنع كونها فاعلة للأفعال الجزئية : وهذا باطل لوجهين (الأول) أنه يمكننا أن نحكم على هذا الشخص المعين بأنه إنسان وليس بفرس والقاضي علي الشيئين لابد وأن يحضره المقضي عليهما فههنا شيء واحد هو مدرك للكلي وهوالنفس فيلزم أن يكون المدرك للجزئي هو النفس (الثاني) هب أن النفس المجردة لا تقوى عَلَى إدراك الجزئيات ابتداء لكن لا نزاع أنه يمكنها أن تدرك الجزئيات بواسطة الآلات الجسمانية فلم

لا يجوز أن يقال إن تلك الجواهر المجردة المسماة بالجن والشياطين لها آلات جسمانية من كرة الأثير أو من كرة الزمهرير ثم إنها بواسطة تلك الآلات الجسمانية تقوى عَلَى إدراك الجزئيات وعَلَى التصرف في هذه الأبدان .

وأما الذين زعموا أن الجن أجسام هوائية أو نارية فقالوا الأجسام متساوية في الحجمية والمقدار وهذان المعنيان أعراض فالأجسام متساوية في قبول هذه الأعراض ، والأشياء المختلفة بالماهية لا يمنع اشتراكها في بعض اللوازم فلم لا يجوز أن يقال الأجسام مختلفة بحسب ذواتها المخصوصة وماهياتها المعينة وإن كانت مشتركة في قبول الحجمية والمقدار وإذا ثبت هذا فنقول لم لا يجوز أن يقال أحد أنواع الأجسام أجسام لطيفة نفاذة حية لذواتها عاقلة لذواتها قادرة عَلَى الأعمال الشاقة لذواتها وهي غير قابلة للتفرق والتمزق وإذا كان الأمر كذلك فتلك الأجسام تكون قادرة عَلَى تشكيل أنفسها بأشكال مختلفة ثم إن الرياح العاصفة لا تمزقها والأجسام الكثيفة لا تفرقها ، أليس أن الفلاسفة قالوا : إن النار التي تنفصل عن الصواعق تنفذ في اللحظة اللطيفة في بواطن الأحجار والحديد وتخرج من الجانب الآخر فلم لا يفعل مثله في هذه الصورة ، وعلى هذا التقدير فإن الجن تكون قادرة عَلَى النفوذ في بواطن الناس وعلى التصرف فيها وإنها تبقى حية فعالة مصونة عن الفساد إلى الأجل المعين والوقت المعين ، فكل هذه الأحوال احتمالات ظاهرة والدليل لم يقم عَلَى إبطالها فلم يجز المصير إلى القول بإبطالها .

(ثم قال الرازي) : اعلم أن الإنسان إذا جلس في الخلوة وتواترت الخواطر في قلبه فربما صار بحيث كأنه يسمع في داخل قلبه ودماغه أصواتاً خفية وحروفاً خفية فكأن متكلماً يتكلم معه ومخاطباً يخاطبه فهذا أمر وجداني يجده كل أحد من نفسه . ثم اختلف الناس في تلك الخواطر فقالت الفلاسفة إن تلك الأشياء ليست حروفاً ولا أصواتاً وإنما هي تخيلات الحروف والأصوات وتخيل الشيء عبارة عن حضور اسمه ومثاله في الخيال وهذا كما

أنا إذا تخيلنا صور الجبال والبحار والأشخاص فأعيان تلك الأشياء غير موجودة في العقل والقلب بل الموجود في العقل والقلب صورها وأمثلتها ورسومها وهي عَلَى سبيل التمثيل جارية مجرى الصورة المرتسمة في المرآة فإنا إذا أحسسنا في المرآة صورة الفلك والشمس والقمر فليس ذلك لأجل أنه حضرت ذوات هذه الأشياء في المرآة فإن ذلك محال وإنما الحاصل في المرآة رسوم هذه الأشياء وأمثلتها وصورها ، وإذا عرفت هذا في تخيل المبصرات فاعلم أن الحال في تخيل الحروف والكلمات المسموعة كذلك فهذا قول جمهور الفلاسفة .

ولقائل أن يقول هذا الذي سميته بتخيل الحروف والكلمات هل هو مساو للحرف والكلمة في الماهية أو لا فإن حصلت المساواة فقد عاد الكلام إلى أن الحاصل في الخيال حقائق الحروف والأصوات وإلى أن الحاصل في الخيال عند تخيل البحر والسماء حقيقة البحر والسماء – وإن كان الحق هو الثاني وهو أن الحاصل في الخيال شيء آخر مخالف للمبصرات والمسموعات فحينئذ يعود السؤال وهو إنا كيف نجد من أنفسنا صورة هذه المرئيات وكيف نجد في أنفسنا هذه الكلمة والعبارات وجداناً لا نشك أنها حروف متوالية عَلَى العقل وألفاظ متعاقبة على الذهن فهذا منتهى الكلام في كلام الفلاسفة أما الجمهور الأعظم من أهل العلم فإنهم سلموا أن هذه الخواطر المتوالية المتعاقبة حروف وأصوات حقيقية .

واعلم أن القائلين بهذا القول قالوا : فاعل هذه الحروف والأصوات إما ذلك الإنسان أو إنسان آخر وإما شيءٌ آخر روحاني مباين يمكنه إلقاء هذه الحروف والأصوات إلى هذا الإنسان سواءٌ قيل إن ذلك المتكلم هو الجن والشياطين أو الملك وإما أن يقال خالق تلك الحروف والأصوات هو الله تعالى (أما القسم الأول) وهو أن فاعل هذه الحروف والأصوات هو ذلك الإنسان فهذا قول باطل لأن الذي يحصل باختيار الإنسان قادراً عَلَى تركه

فلو كان حصول هذه الخواطر بفعل الإنسان لكان الإنسان إذا أراد دفعها أو تركها لقدر عليه ومعلوم أنه لا يقدر عَلَى دفعها فإنه سواء حاول فعلها أو حاول تركها فتلك الخواطر تتوارد عَلَى طبعه وتتعاقب على ذهنه بغير اختياره .

(وأما القسم الثاني) وهو أنها حصلت بفعل إنسان آخر فهو ظاهر الفساد . ولما بطل هذان القسمان بقي (الثالث) وهي أنها من فعل الجن أو الملك أو من فعل الله تعالى (أما الذين قالوا) : إن الله تعالى لا يجوز أن يفعل القبائح فاللائق بمذهبهم أن يقولوا إن هذه الخواطر الخبيثة ليست من فعل الله تعالى فبقي أنها من أحاديث الجن والشياطين ، وأما الذين قالوا إنه لا يقبح من الله شيء فليس في مذهبهم مانع يمنعهم من إسناد هذه الخواطر إلى الله تعالى) . اهـ

« الماوردي »

قال في كتاب أعلام النبوة : الجن من العالم الناطق المميز يتناسلون ويموتون ، وأشخاصهم محجوبة عن الأبصار ، وإن تميزوا بأفعال وآثار ، إلا أن يخص الله برؤيتهم من يشاء ، وإنما عرفهم الإنس من الكتب الإلهية ، وما يتخيلوه من آثارهم الخفية .

(ثم قال) : واختلفوا في الشياطين فزعم قوم أنهم كفار الجن يتناسلون ويموتون وزعم آخرون أنهم غير الجن وأنهم من ولد إبليس واختلف من قال بهذا في تناسلهم وموتهم فذهب فريق منهم إلى أنهم يتناسلون ويموتون وذهب آخرون إلى أنهم كإبليس لا يموتون إلا معه وأن تناسلهم انقطع بإنظار إبليس إلى يوم يبعثون ، فإن أنكر قوم خلق الجن و لم يؤمنوا بالكتب الإلهية قهرتهم براهين العقول وحجج القياس (ثم أسهب في ذلك رحمه الله) .

« القاشاني »

قال في تفسير آية ﴿ **وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن** ﴾ في سورة الأحقاف ما مثاله : الجن نفوس أرضية تجسدت في أبدان لطيفة مركبة من لطائف العناصر سماها حكماء الفرس (الصور المعلقة) ولكونها أرضية متجسدة في أبدان عنصرية ومشاركتها الإنس في ذلك سميا ثقلين وكما أمكن الناس التهدي بالقرآن أمكنهم وحكاياتهم من المحققين وغيرهم أكثر من أن يمكن رد الجميع وأوضح من أن يقبل التأويل :

وقال في تفسير سورة الجن : قد مر أن في الوجود نفوساً أرضية قوية لا في غلظ النفوس السبعية والبهيمية وكثافتها وقلة إدراكها ولا عَلَي هيآت النفوس الإنسانية واستعداداتها ليلزم تعلقها بالأجرام الكثيفة الغالب عليها الأرضية – ولا في صفاء النفوس المجردة ولطافتها لتتصل بالعالم العلوي وتتجرد أو تتعلق ببعض الأجرام السماوية متعلقة بأجرام عنصرية لطيفة غلبت عليها الهوائية أو النارية أو الدخانية عَلَى اختلاف أحوالها سماها بعض الحكماء (الصور المعلقة) ولها علوم وإدراكات من جنس علومنا وإدراكاتنا ، ولما كانت قريبة بالطبع إلى الملكوت السماويّ أمكنها أن تتلقى من عالمها بعض الغيب فلا تستبعد أن ترتقي إلى أفق السماءِ فتسترق السمع من كلام الملائكة أي النفوس المجردة – ولما كانت أرضية ضعيفة بالنسبة إلى القوى السماوية تأثرت بتأْثير تلك القوى فرجمت بتأْثيرها عن بلوغ شأْوها وإدراك مداها من العلوم ، ولا تنكر أن تشتعل أجرامها الدخانية بأشعة الكواكب فتحترق وتهلك أو تنزجر من الارتقاء إلى الأفق السماوي فتتسفل فإنها أمور ليست بخارجة عن الإمكان . اهـ

« القاضي أبو يعلي بن الفراء »

نقل عن السفاريني أنه قال : الجن أجسام مؤلفة وأشخاص ممثلة ويجوز

أن تكون رقيقة وأن تكون كثيفة خلافاً للمعتزلة في قولهم أنهم أجسام رقيقة ولرقتها لا نراها (قال) : ولا قدرة للشياطين على تغيير خلقهم والانتقال في الصور وإنما يجوز أن يعلمهم الله ضرباً من ضروب الأفعال إذا فعله نقله الله من صورة إلى صورة فيقال إنه قادر على التصوير والتخييل على معنى أنه قادر عَلَى أمر إذا فعله نقله الله عن صورة إلى صورة أخرى لجري العادة وأما أن يصور نفسه فذلك محال لأن انتقالها عن صورة إلى صورة إنما يكون بنقض البنية وتفريق الأجزاء وإذا انتقلت بطلت الحياة واستحال وقوع الفعل من الجملة وكيف تنقل نفسها (قال) : والقول في تشكيل الملائكة مثل ذلك (وسيأتي في أول الخاتمة مبحث تمثل الروحاني مفصلاً) .

« شيخ الإسلام ابن تيمية »

نقل عنه السفاريني أنه قال : لم يخالف أحد من طوائف المسلمين في وجود الجن وكذا جمهور الكفار لأن وجودهم تواترت به أخبار الأنبياء تواتراً معلوماً بالاضطرار يعرفه الخاصة والعامة (قال) : ولم ينكر الجن إلا شرذمة قليلة من جهال الفلاسفة ونحوهم ، (وقال) ليس الجن كالإنس في الحد والحقيقة فلا يكون ما أمروا به وما نهوا عنه مساوياً لما عَلَى الإنس في الحد والحقيقة لكنهم مشاركوهم في جنس التكليف بالأمر والنهي والتحليل والتحريم بلا نزاع أعلمه بين العلماء (وقال في تفسير سورة الإخلاص) : إن الفلاسفة كلامهم في الإلهيات والكليات العقلية كلام قاصر جداً وفيه تخليط كثير وإنما يتكلمون جيداً في الأمور الحسية الطبيعية وفي كلياتها فكلامهم فيها في الغالب جيد ، وأما الغيب الذي تخبر به الأنبياء والكليات العقلية التي تعم الموجودات كلها وتقسم الموجودات قسمة صحيحة فلا يعرفونها البتة فإن هذا لا يكون إلا ممن أحاط بأنواع الموجودات وهم لا يعرفون إلا قليلاً من الموجودات وما لا يشهده الآدميون من الموجودات أعظم قدراً وصفة مما يشهدونه بكثير ، ولهذا كان هؤلاء الذين عرفوا ما عرفته الفلاسفة إذا سمعوا إخبار الأنبياء بالملائكة والعرش والكرسي والجنة والنار وهم يظنون أن لا موجود إلا ما

علموه هم والفلاسفة يصيرون حائرين متأولين لكلام الأنبياء عَلَى ما عرفوه وإن كان هذا لا دليل عليه وليس لهم بهذا النفي علم فإن عدم العلم ليس علماً بالعدم لكن نفيهم هذا كنفي الطبيب للجن لأنه ليس في صناعة الطب ما يدل عَلَى ثبوت الجن وإلا فليس في علم الطب ما ينفي وجود الجن وهكذا تجد من عرف نوعاً من العلم وامتاز به عَلَى العامة الذي لا يعرفونه فيبقى بجهله نافياً لما لا يعلمه ، وبنو آدم ضلالهم فيما جحدوه ونفوه بغير علم أكثر من ضلالهم فيما أثبتوه وصدقوا به قال تعالى : ﴿ **بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله** ﴾. اهـ

وقد أسهب رحمه الله في كتابه الفرقان - المطبوع - فيما يتعلق بالجن والشياطين فليراجع .

« ابن القيم »

قال رحمه الله في زاد المعاد في علاج الصرع ما مثاله : الصرع صرعان صرع من الأرواح الخبيثة الأرضية - وصرع من الأخلاط الردية . والثاني هو الذي يتكلم فيه الأطباءُ في سببه وعلاجه . وأما صرع الأرواح فأئمتهم وعقلاؤهم يعترفون بأن علاجه بمقابلة الأرواح الشريفة الخيرة العلوية لتلك الأرواح الشريرة الخبيثة فتدفع آثارها وتعارض أفعالها وتبطلها . وقد نص عَلَى ذلك بقراط في بعض كتبه فذكر بعض علاج الصرع وقال : هذا إنما ينفع من الصرع الذي سببه الأخلاط والمادة وأما الصرع الذي يكون من الأرواح فلا ينفع فيه هذا العلاج : وأما جهلة الأطباء فينكرون صرع الأرواح ولا يقرون بأنها تؤثر في بدن المصروع وليس معهم إلا الجهل وإلا فليس في الصناعة الطبية ما يدفع ذلك والحس والوجود شاهد به ، وإحالتهم ذلك عَلَى غلبة بعض الأخلاط هو صادق في بعض أقسامه لا في كلها ، وقدماء الأطباء يسمون هذا الصرع المرض الإلهي وقالوا : إنه من الأرواح ، وأما جالينوس وغيره فتأولوا عليهم هذه التسمية وقالوا : إنما سموها بالمرض الإلهي لكون

هذه العلة تحدث في الرأس فتضر بالجزء الإلهي الطاهر الذي مسكنه الدماغ : وهذا التأويل نشأ لهم من جهلهم بهذه الأرواح وأحكامها وتأثيراتها وجاءت زنادقة الأطباء فلم يثبتوا إلا صرع الأخلاط وحده ، ومن له عقل ومعرفة بهذه الأرواح وتأثيراتها يضحك من جهل هؤلاء الأطباء وضعف عقولهم .

(ثم قال ابن القيم) : هذا ولو كشف الغطاءُ لرأيت أكثر النفوس البشرية صرعى مع هذه الأرواح الخبيثة وهي في أسرها وقبضتها تسوقها حيث شاءت ولا يمكنها الامتناع عنها ولا مخالفتها وبها الصرع الأعظم الذي لا يفيق صاحبه إلا عند المفارقة والمعاينة فهناك يتحقق أنه كان هو المصروع حقيقة .

وعلاج هذا الصرع باقتران العقل الصحيح إلى الإيمان بما جاءت به الرسل عليهم السلام .

« الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده »

قال في تفسير قوله تعالى : ﴿ **الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس** ﴾ الموسوسون قسمان قسم الجنة وهم الخلق المستترون الذين لا نعرفهم وإنما نجد في أنفسنا أثراً ينسب إليهم ، ولكل واحد من الناس شيطان وهي قوة نازعة إلى الشر يحدث منها في نفسه خواطر السوء .

وقال في موضع آخر[١]: إن إلهام الخير والوسوسة بالشر مما جاء في لسان صاحب الوحي صلى الله عليه وسلم وقد أسندا إلى هذه العوالم الغيبية ، وخواطر الخير التي تسمى إلهاماً وخواطر الشر التي تسمى وسوسة كل منهما محله الروح فالملائكة والشياطين إذن أرواح تتصل بأرواح الناس . فلا يصح أن نمثل الملائكة بالتماثيل الجثمانية المعروفة لنا لأن هذه لو اتصلت بأرواحنا فإنما تتصل بها من طرق أجسامنا ونحن لا نحس بشيءٍ يتصل بأبداننا لا عند الوسوسة ولا عند الشعور بداعي الخير من النفس فإذن هي من عالم غير عالم الأبدان قطعاً .

(١) نقله المنار مجلد ١١ ص (٥٨٨) .

(ثم قال) : يشعر كل من فكر في نفسه ، ووازن بين خواطره عند ما يهم بأمر فيه وجه للحق أو للخير ، ووجه للباطل أو للشر ، بأن في نفسه تنازعاً كأن الأمر قد عرض فيها على مجلس شورى.

فهذا يورد وذاك يدفع ، وواحد يقول افعل وآخر يقول لا تفعل حتى ينتصر أحد الطرفين ، ويترجح أحد الخاطرين ، فهذا الشيءُ الذي أودع في أنفسنا ونسميه قوة وفكراً – وهو في الحقيقة معنى لا يدرك كنهه وروح لا تكتنه حقيقتها – لا يبعد أن يسميه الله تعالى ملكاً ويسمي أسبابه ملائكة أو ما شاء من الأسماء فإن التسمية لا حجر فيها عَلَى الناس فكيف يحجر فيها عَلَى صاحب الإرادة المطلقة والسلطان النافذ والعلم الواسع . اهـ وسبق في كلام الغزالى نحوه وسيأتي فى الخاتمة عن الراغب الأصفهاني ما يؤيده .

* * *

* خاتمـة *

« في فوائد متفرقات من شوارد هذه المسألة »

(أ) للباحثين في تمثيل الأرواح آراء عديدة وأنظار متنوعة نذكر منها طرفاً قال في الخلاصة : اعتقاد قدماء اليهود بماهية الأرواح المغيبة أنها إما هواء خالص أو لهيب نار (ثم قال) : فعلى هذا فللملائكة أجسام هوائية لطيفة لا ترى ما لم تمثل كالهواءِ الذي نتنفسه فإنه جسم لكنه غير مبصر لنا (ثم قال) : وأقرب شاهد للتمثيل هو الهواء فإنه وإن لم يقبل في حال تخلخله شكلاً ولا لوناً إلا أنه متى تكاثف أمكن تشكله وتلونه كما يتضح في السحاب وعَلَى هذا النمط يجوز أن تتكثف أجسام الملائكة بالقدرة الربانية عَلَى قدر ما يلزم لتكوين الجسم المراد اتخاذه ويقدرون بعد التجسد أن يفعلوا أفاعيل حيوية . اهـ

وقدمنا عن القاضي أبى يعلى أنه قال : لا قدرة للشياطين عَلَى تغيير خلقهم والانتقال في الصور وإنما يجوز أن يعلمهم الله ضرباً من ضروب الأفعال إذا فعله نقله الله من صورة إلى صورة إلخ : ونقل الحافظ ابن حجر في فتح الباري عن إمام الحرمين أن تمثل جبريل معناه أن الله أفنى الزائد من خلقه أو أزاله عنه ثم يعيده إليه بعد . وجزم ابن عبد السلام بالإزالة دون الفناء وقرر ذلك بأنه لا يلزم أن يكون انتقالها موجباً لموته بل يجوز أن يبقى الجسد حياً لأن موت الجسد بمفارقة الروح ليس بواجب عقلاً بل بعادة أجراها الله تعالى في بعض خلقه ونظيره انتقال أرواح الشهداء إلى أجواف طير خضر تسرح في الجنة ، وقال شيخنا شيخ الإسلام – زكريا الأنصاري – ما ذكره إمام الحرمين لا ينحصر الحال فيه بل يجوز أن يكون

الآتي هو جبريل بشكله الأصلي إلا أنه إنضم فصار عَلَى قدر هيئة الرجل وإذ ترك ذلك عاد إلى هيئته ومثال ذلك القطن إذا جمع بعد أن كان منتفشاً فإنه بالنفش يحصل له صورة كبيرة وذاته لم تتغير وهذا عَلَى سبيل التقريب والحق أن تمثل الملك رجلاً ليس معناه أن ذاته انقلبت رجلاً بل معناه أنه ظهر بتلك الصورة تأنيساً لمن يخاطبه والظاهر أيضاً أن القدر الزائد لا يزول ولا يفنى بل يخفى عَلَى الرائي فقط والله أعلم . اهـ كلام الحافظ كله مبني عَلَى حمل الإطلاق في موارده على الحقيقة فليتأمل وقال الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده رحمه الله في رسالة التوحيد : أما وجود بعض الأرواح العالية — وهم الملائكة المكرمون — وظهورها لأهل تلك المرتبة السامية (الأنبياء عليهم السلام) فمما لا استحالة فيه بعد ما عرفنا من أنفسنا وأرشدنا إليه العلم قديمه وحديثه من اشتمال الوجود عَلَى ما هو ألطف من المادة وإن غيب عنا فأي مانع من أن يكون بعض هذا الوجود اللطيف مشرقاً لشيء من العلم الإلهيّ وأن يكون لنفوس الأنبياء إشراف عليه فإذا جاء به الخبر الصادق حملنا عَلَى الإذعان بصحته ، أما تمثل الصوت وأشباح لتلك الأرواح في حس من اختصه الله بتلك المنزلة فقد عهد عند أعداء الأنبياء ما لا يبعد عنه في بعض المصابين بأمراض خاصة عَلَى زعمهم فقد سلموا أن بعض معقولاتهم يتمثل في خيالهم ويصل إلى درجة المحسوس فيصدق المريض في قوله أن يرى ويسمع بل يجالد ويصارع ولا شيء من ذلك في الحقيقة بواقع فإن جاز التمثيل في الصور المعقولة ولا منشأ لها إلا في النفس وإن ذلك يكون عند عروض عارض عَلَى المخ فلم لا يجوز تمثل الحقائق المعقولة في النفس العالية وأن يكون ذلك لها عندما تنزع عن عالم الحس ، وتتصل بحظائر القدس ، وتكون تلك الحال من لواحق صحة العقل في أهل تلك الدرجة لاختصاص مزاجهم بما لا يوجد في مزاج غيرهم ؟ وغاية ما يلزم عنه أن يكون لعلاقة أرواحهم بأبدانهم شأن غير معروف في تلك العلاقة من سواهم وهو ما يسهل قبوله

بل يتحتم لأن شأنهم في الناس أيضاً غير الشؤون المألوفة وهذه المغايرة من أهم ما امتازوا به وقام منها الدليل عَلَى رسالتهم ، والدليل عَلَى سلامة شهودهم وصحة ما يحدثون عنه أن أمراض القلوب تشفى بدوائهم وأن ضعف العزائم والعقول يتبدل بالقوة في أممهم التي تأخذ بمقالهم ، ومن المنكر في البديهة أن يصدر الصحيح من معتل ، ويستقيم النظام بمختل . اهـ وقدمنا عن الغزالي كلمة في تمثيل الملك فتذكره .

(ب) شاع وصف الجن « بالأرواح » في المأثور وفي كلام الحكماء قال ابن الأثير في حديث : إني أعالج من هذه الأرواح : الأرواح ههنا كناية عن الجن سموا أرواحاً لكونهم لا يرون فهم بمنزلة الأرواح : إلا أنه غلب لفظ « روح » مفرداً في التنزيل الكريم عَلَى الملك قال في الخلاصة : إن كلمة « روح » التي يوصف بها الملائكة تتضمن معنى يدل عَلَى ماهيتهم وهو أنهم مجردون عن كثافة الأجسام فليسوا مثلنا (قال) : لأن أصل معنى الروح في العبراني واليوناني كما في العرب ريح أي هواء متحرك وكأن لغة البشر تقتصر عن التعبير بتمام الكنه والحقيقة فاكتفى بلفظ يوضح الحقيقة وإن لم يجلها تمام الجلاء . اهـ وقال ابن الأثير في حديث (الملائكة الروحانيون) يروى بضم الراء وفتحها كأنه نسبة إلى الرُّوح أو الرَّوح وهو نسيم الريح والألف والنون من زيادات النسب ويريد به أنهم أجسام لطيفة لا يدركها البصر . اهـ

وفي كليات أبي البقاء : الروح بالضم هو الريح المتردد في مخارق الإنسان ومنافذه واسم للنفس إلخ . وفي التاج عن الفراء قال : سمعت أبا الهيثم يقول : الروح إنما هو النفس الذي يتنفسه الإنسان وهو جار في جميع الجسد فإذا خرج لم يتنفس بعد خروجه : وفي نقد المحصل للطوسي : الفلاسفة يفرقون بين النفوس والأرواح فإن النفوس عندهم جواهر بسيطة مجردة متعلقة بالأبدان ، والأرواح أجسام مركبة من الأبخرة والأدخنة المرتفعة من الدم

المحتبس في العروق : وروى ابن جرير عن قتادة في تفسير آية ﴿ **ويسئلونك عن الروح** ﴾ قال الروح هو جبريل قال قتادة : وكان ابن عباس يكتمه ثم أسند إلى ابن عباس أن الروح ملك وكذا عن علي رضى الله عنه أنه قال : هو ملك من الملائكة .

(ج) جاء في معجم لاروس : أن سقراط كان يزعم أن له شيطاناً خاصاً يوحي إليه مقاصده وجميع مباديء فلسفته وحكمته . فادعى بعضهم أن ذلك كان روحاً أو عاملاً فوق قوة البشر وأطلق آخرون هذا الاسم عَلَى معنى أدبي لطيف وحاسة طبيعية رائقة سريعة الإدراك أنمتها تجارب طويلة وهم عَلَى ما يرون أن شيطان سقراط لم يكن غير إلهامات باطنة تعرض لقلبه وعقله مؤقتة عند تصور أعلى مطالب الفلسفة فمعني استشارة سقراط لشيطانه الخاص هو أنه يستشير إلهامه الداخلي وعقله وحكمه التي لا يراها نفحة ونعمة بل هي منبعثة عن الألوهية وهي جزءٌ منها . ورأى آخرون أن هذا الزعم كان من سقراط حيلة يريد أن يتوصل بها إلى تحقيق إصلاح سياسي كبير . والظاهر أن سقراط اقتنع بصحة ما وقع في نفسه فلم يخامره ولا تلامذته أدنى شك في مدعاه وكان ذلك من آكد الأسباب في الحكم عليه بالموت .

وجاء فيه أيضاً في مادة جني : أن الجن في الأساطير الرومانية إشارة إلى الشيطان عند اليونان وهي عبارة عن الروح أو المبدإ الحيوي فكانوا يذهبون إلى أن كل عمل يعمله الإنسان يمليه عليه شيطانه الخاص . فالظاهر أنه كان من تأثيرات الزندقة الطبيعية أن توهم عامة اللاتين بأن للمرء شيطانين وذلك ليحلوا كما يشاءون مسألة الخير والشر فشيطان الخير يوحي الأفكار الصالحة النافعة وشيطان الشر يلهم الأعمال الشريرة والحوادث المكدرة وهكذا رأى القائدان بروتوس وكاسيوس عندما كتبت الهزيمة عَلَى أعلامهما شيطانيهما الشريرين .

وكانَ القوم في رومية يعبدون الشياطين الخاصة والشياطين المحلية فإذا ولد لهم ولد يقومون باحتفال إكراماً لشيطانه وكثيراً ما تقدم فاكهة وثمار لشياطين المكان وعَلَى عهد الإمبراطورية كان شيطان الإمبراطور يعبد عبادة خاصة إكراماً واحتراماً . اهـ

(د) جاء في دائرة المعارف البريطانية ما تعريبه :

أن كلمة الشيطان هي اسم وضع في الإنجيل والمذهب النصراني عَلَى شرير كبير يظن أنه يرأس مملكة من الأرواح الخبيثة وهو الملك فيها وأنه عدو لله دائماً واللفظة العبرية وهي الشيطان الدالة عَلَى معنى المعاكسة أيضاً تستعمل لهذا الشرير الكبير أو ملك مملكة الشر ومما لا شك فيه أن روحاً خبيثة كهذه كثيراً ما استعملت في العهد الجديد وقد سمي بأسماء متعددة غير ما ذكر مثل كلمة الممتحن ، بعل زبوب ، ملك الشياطين ، القوى ، الشرير الخاطيء ، العدو الألد ، وهذه الأسماء استعملت مترادفة في الإنجيل وحيثما أستعملت تدل عَلَى نفس القوة المتحركة الشريرة الخارجة عن الإنسان والمؤثرة فيه أو التي لها سلطة عليه ومن المسائل ما هو مبلغ اعتقاد المسيح نفسه في وجود مثل هذه القوة الخبيثة إلا أنه مما لا شك فيه أن قوة كهذه كان معترفاً بها في معتقدات اليهود في أيامه ومن المحقق أيضاً أن هذا الاعتقاد بين اليهود لم ينم دفعة واحدة بل نشأ عَلَى مهل ولا يتأثره المطالع في العهد القديم بوضوح كما نجده واضحاً في العهد الجديد وفي الحقيقة أن كلمة الشيطان لا توجد في التوراة إلا في خمس مواضع وفي آثار الأنبياء العبريين الأولى لا يوجد اعتراف بروح شريرة تقاوم إرادة الله والصورة التي صورت بها هذه الروح الشريرة فى آثار متأخريهم تختلف كثيراً عن الصورة التى صورها متأخرو علماء اللاهوت إذاً ما هو أصل الإعتقاد بالشيطان من حيث أنه روح خبيثة مطرودة « فالجواب » الذي يذكره المنقحون من المعاصرين أن هذا الاعتقاد نشأ من اختلاط اليهود بالفرس لما كانوا منفيين

في بلاد فارس فالاعتقاد الفارسي يقسم الدنيا بين إلهين موجودين مختلفين الواحد خير والآخر شر إلا أن كليهما له حصة في الخلق والإنسان . فاهر مزده كان مقدساً صادقاً تجب له العبادة والاحترام وأما أهر من روح الظلام ذو العقل الشرير فلم يكن أقل قدرة وكان يدعي الحق بمساواة أهر مزده من حيث إطاعة الإنسان له « وفي القرون الوسطى » كان الاعتقاد بالشيطان عظيماً فالقديسون كانوا يحسبون أنفسهم وغيرهم بخصام دائم معه ومن الصعب علينا الآن أن نتصور مقدار التأثير لهذا الاعتقاد في معيشة الناس حينئذ فإنه كان الفكر الثابت في رأس كل إنسان خصوصاً من القرن الثالث عشر إلى القرن الخامس عشر وهي مدة يمكننا أن نعد هذه الخرافة بلغت فيها منتهاها ومن المحقق أن هذه العقيدة لم تنقص إلا قليلاً في القرن الخامس عشر بل حتى في القرن السادس عشر أو السابع عشر ، ولوثيروس كان يشعر دائماً بتماس الروح الشريرة ومعاكستها ففي مكتبته وفي فراشه وحجرته كان الشيطان يتداخل في إشغاله أو راحته ولما كان يباشر درسه سمع صوتاً عرفه حالاً أنه صادر من عدوه « الشيطان » « قال » : فلما وجدت أنه يريد أن يعود مرة ثانية إلى عمله جمعت كتبي وذهبت إلى فراشي وسمعته مرة ثانية في الليل ماشياً في الرواقي لكنني لما كنت أعلم أنه الشيطان لم أهتم به بل غرقت في نومي وكذلك يقول لوثيروس ولما أفقت في هذا الصباح باكراً جاءني الشرير وابتدأ يجادلني فقال لي أنت مذنب عظيم فأجبته ألا يمكنك أن تأتيني بنبأ جديد يا شيطان . ولما تقدم المعقول في القرن الثامن عشر تناقص هذا الاعتقاد بانتشار التأثيرات الشيطانية والشعور بما فوق الطبيعة تضاءل من جميع جهاته ولاسيما الاعتقاد القديم بسلطة الشيطان المطلقة عَلَى مصير الإنسان ومع أن الشعور الديني ازداد كثيراً منذ ذلك الحين فلا يمكن أن يقال بأن الإعتقاد القديم بالشيطان . وأعماله تجدد ومن الممكن أن يكون اعتقاد النصرانية اليوم أن هنالك قوة شريرة في العالم تعاكس إرادة الله ولكن

هل هذه القوة هي شخص وما هو فعلها في إرادة الإنسان وأيضاً هل هنالك مملكة أرضية للشياطين يرأسها ملك وما هي علاقة هذه المملكة الشيطانية بمصير الإنسان ؟ كل ذلك مسائل لم تقرر بعد أو مشكوك بها في أي مذهب من مذاهب الكنيسة . ووظيفتنا أن نلاحظ هذا التغير في اعتقاد النصارى من غير أن نبين منافعه أو غير ذلك ومن المحقق أن الاعتقاد بالشيطان لا يشغل مكاناً عظيماً في تصورات النصارى اليوم كما كان من ذي قبل وأنه ليس لسلطته الآن الأثر الذي كان له في الإنسان واختياره . اهـ كلام دائرة المعارف البريطانية و لم نورده مع كلام المعجم قبلها إلا ليتم للواقف عَلَى هذه المسألة الاطلاع عَلَى آراء بقية المفكرين من الملل الأخرى فيها .

(هـ) تزعم الفرس أن الجن يسكنون في بلاد تسمى جنستان ويسميها شعراؤهم أرض العفاريت والجنيات ويقولون إنها واقعة في الطرف الغربي من أفريقية ومنهم من يقول إن مقرهم في جزيرة الحيات في بحر الهند ويصورونهم بهيئة مخيفة بقرون طويلة وأذناب وعيون مشقوقة طولاً وشعر واقف كذا في دائرة المعارف .

(و) قال وليّ الدين : يدعي بعض شيوخ الضلالة ورسل البهتان أن لهم تعازيم يستحضرون بها الجن ويجعلونهم تحت تصرفهم ولا يزال لهذه الأضاليل أثر يذكر يتناقله الناس ويعتقدون بصحته . اهـ

(ز) قال الرازي في مقدمة تفسيره في بحث الاستعاذة : هؤلاء الذين يمارسون صنعة التعزيم إذا تابوا من الأكاذيب يعترفون بأنهم قط ما شاهدوا أثراً من هذا الجن « قال الرازي » : وذلك مما يغلب على الظن عدم هذه الأشياء « قال » : وسمعت واحداً ممن تاب عن تلك الصنعة قال : إني واظبت على العزيمة الفلانية كذا من الأيام وما تركت دقيقة من الدقائق إلا أتيت بها ثم إني ما شاهدت من تلك الأحوال المذكورة أثراً ولا خبراً . اهـ

(ح) ذكر بعض المحققين أن إبليس علم جنس للشيطان معرب ذياقوليس باليونانية ومعناه موقع الخلاف أو مطغي أو مبعد الإنسان عن سبيله ، ويتضمن اسمه معنى آخر في كتب الوحي وهو رئيس الأرواح الشريرة « قال » : وكان شعراء الفرس الذين ينظمون في الخرافات يصفونه بلون أسود وعينين تقذفان ناراً ورائحة كبريتية وقرون وذنب وأظافر معوجة وحافرين مشقوقين . اهـ

(ط) لفظ شيطان عبراني بمعنى مخاصم أو مضاد ثم أطلق على روح شريرة غير مرئية تدعو إلى المعاصي والآثام « كذا في المرشد » قال الراغب عن أبي عبيدة : الشيطان اسم لكل عارم من الجن والإنس والحيوانات « قال » : وقد يسمى كل خلق ذميم للإنسان شيطاناً . اهـ ونقله السيد الزبيدى عنه في تاج العروس شرح القاموس .

(ى) قال بعض الأفاضل : من الاعتقادات الشائعة أن الجن تسكن بعض الأماكن ولا سيما الخرابات والقبور والعيون والآبار والبيوت المهجورة حتى العامرة أيضاً فيحتاج أهلها إلى الخروج منها وكانوا في الجاهلية إذا أرادوا سكنى دار ذبحوا للجن ذبيحة حتى لا تضرهم وهذا الاعتقاد المتقادم العهد لم يزل باقياً إلى الآن في أماكن كثيرة وربما روى بعض العامة مرائي وأساطير من هذا القبيل ، وما ذلك إلا أوهام وتصورات تنتج من المخيلة المنطبعة فيها من جري أكثر الأخبار آثار لا تمحى إلا بكرور الأيام ، وانتشار ألوية العلم في كل الأقطار بحيث تتمزق حجب الأوهام ، وتأخذ الحقائق مكانها في أفكار الأنام ، سهل الله سلوك سبيل العلم والعرفان إنه الكريم العلام .

جمال الدين القاسمي

* * *

فهرس كتاب مذاهب الأعراب وفلاسفة الإسلام
في الجن

صفحة